السلسلة الجامعية

(١)



الاتحاد الوطني لطلبة الإمارات

فرع الإمارات

شبهات في الفكر الإسلامي



أنور الجندي

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م



كلمة اللجنة الثقافية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد :

فإن اللجنة الثقافية بالاتحاد الوطني لطلبة الامارات ـ فرع الامارات إذ تقدم بين أيدى القراء الأعزاء باكورة ونشاطها الثقافي مع امكانياتها المحدودة والضعيفة فإنها تدعو الله عز وجل أن يوفقها لإستكمال (السلسلة الجامعية) وذلك لما فيه خير ومصلحة الطالب الجامعي بصفة خاصة وعموم الناس بصفة عامة .

إن اللجنة في اختيارها لإصدارات السلسلة الجامعية تحرت التدقيق فيما تنشره والتأني في إخراجه للقراء كى يؤتى ثماره كاملة و يؤدى الغرض المقصود منه فالكتيب الثقافي مادة سهلة القراءة سريعة الفهم سلسلة المفاهيم وكثيرة الانتشار ، مما يزيد العبء على عاتقنا فى انتقاء كتيبات تتواقر فيها الشروط السابقة .

وإننا نعدكم إن شاء الله تعالى أن تتوالى إصداراتنا الثقافية وأن تصل الى يد كل طالب وقارىء صغيرة ورمزية الثمن فالهدف الاول والاخير منها هو تعميق الفهم وزيادة الوعى ونشر الثقافة الصحيحة السليمة النابعة من عقيدة أمتنا والله نسأل أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه إنه على كل شيء قدير .

اللجنة الثقافية

٢٤ / ربيع الثاني ١٤٠٥هـ

١٥ يناير ١٩٨٥م

المقدمة

عشرات من الشبهات والتحديات تثار اليوم فى وجه الاسلام والفكر الاسلامى ، ومن حق الشباب المثقف علينا أن نضىء أمامه الطريق ونكشف التمو يه الدخيل الى حقائق التاريخ الاسلامى والفكر الاسلامى . ومن المعروف أن الاستعمارية والصهيونية والالحاد ما تزال تدفع هذه الشبهات وتكسبها لونا له بريق وتضعها فى أساليب مضللة باسم العلم .

ولكنها ليست من العلم أو الحقيقة فى شىء . ونحن نعرف أن الذين يعاودونها هم دعاة التغريب والغزو الثقافى والنفوذ الاجنبى ، وهم ما كرون حين يثيرونها نقطة بعد نقطة ، وقضية بعد قضية ثم يعاودون إثارة الواحدة بعد الأخرى بأسلوب مختلف ، ومن زاوية جديدة ، فعلينا أن نكون على وعي بكل هذه التيارات ، وعلى قدر كاف من اليقظة لنربط بين هذه الجزئيات ولنعرف الاهداف الاستعمارية التى تهدف اليها ومما يثار على سبيل التمثيل لا الحصر الشبهات التالية :

أولا ـ أن تأخر المسلمين اليوم مصدره الاسلام .

ثانيا ـ أن المدنية الغربية تؤخذ كلها (حضارتها وثقافتها) وحلوها ومرها وخيرها وشرها ، وما يحمد منها وما يعاب .

ثالثا ـ الاسلام لا يستطيع أن يعطى العالم سوى المعانى الروحية

رابعا - ايجاد الخلاف العميق بين العروبة والاسلام .

خامسا - القول بأن المسلمين لم يستيقظوا من غفلتهم حتى أوقظهم الغرب .

سادسا - انكار دور الحضارة الاسلامية خلال الف سنة فى الحضارة الانسانية .

سابعا - القول بأن الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية .

ثامنا - عظماء الفكر الاسلامى لم يكونوا عربا وانما كانوا فرساً وتركا الخ .

تاسعا - لابد لكى ينهض العالم الاسلامى من أن ينفصل عن ماضيه .

عاشرا - اللغة العربية لغة ميتة كاللغة اللاتينية واللهجات هى اللغات الحديثة .

حادى عشر - التاريخ الاسلامى مليء بالثغرات ويجب أن يقضى عليه كلية .

هذه بعض القضايا التى تثار والتى تحتاج الى دراسة موسوعية ، يمكن أن يطلق عليها اسم « تصحيح المفاهيم » .

الواقع أن المسلمين فى هذه الفترة التى احتل فيها الغرب «

عالم الاسلام » لم يكونوا ممثلين حقيقيين للإسلام وقد صور هذا المعنى الشيخ محمد عبده حين قال :

« ان الاسلام محجوب بالمسلمين » ولاشك أن فترة ضعف العالم الاسلامى لا يمكن أن تكون صالحة لمناقشة جوهر هذا الفكر فى مجال التطبيق ، بعد أن أصيب بالجمود والضعف وغلبت عليه نزعات التقليد ، فقد كان الفكر الاسلامى ، العربى اللغة فى جوهره وتجربته الاولى مضيئا ايجابيا مؤثرا متفاعلا ولو أن العالم الاسلامى ظل مرتبطا بجذور هذا الفكر ومقوماته الاساسية لم ينحرف عنها ، لو انه فعل ذلك لما وقع فى « الأ زمة » التى حالت دون نموه وامتداده ، ولو ظل فى حركته الاصلية ولم تقف فى وجهه الحوائل الضخمة لوصل الى مكانه الانسانى العالمي ولظل مؤثرا فى مجرى الفكر البشري .

١ ـ سبب تأخر المسلمين

أما القول بأن مصدر تأخر العالم الاسلامى هو الإسلام فهو قول مردود بتجربة التاريخ ، فقد أقام الفكر الاسلامى العربى اللغة حضارة ضخمة فى ظل العقيدة الاسلامية القائمة على التوحيد وامتزاج المادة بالروح ولم يتعارض العلم مع الدين .

ولعل القائلين بهذا الرأى انما ينظرون فيما يقوله الغربيون عن المسيحية الغربية التى أقاموها مزيجا من المسيحية السمحة الوافدة من الشرق ومن الوثنية اليونانية ، وعندنا أن كل ما يقال عن « الدين » فى رأي كتاب الغرب لا ينطبق على الاسلام فإن مصدر نظرتهم هى ما عرف من معارضة الكنيسة للعلم فى فتوحه إبان النهضة ، هذه النظرة لا تنطبق على الاسلام ، ثم أن الاسلام بعد ذلك ليس دينا لاهوتيا عباديا فحسب ، ولكنه دين فكر وحضارة وتاريخه كله خلال اربعة عشر قرنا يشهد بأنه لم يتوقف مطلقا عن الحركة ، وأنه ظل قادرا على التجاوب مع النهضات والحضارات فى آفاق العلم والبحث والابتكار .

٢ ـ المدنية الغربية

القول بأن المدنية الغربية يجب أن تؤخذ كلها (حلوها ومرها وخيرها وشرها) قول باطل ومردود ، وعلينا أن نفرق بين أمرين تمام التفرقة ، أن نفرق بين الحضارة والثقافة ، فالحضارة مادة والثقافة فكر ، والحضارة ملك للانسانية كلها تأخذ منها ما تشاء ، ولكن الثقافة خاصة بكل أمة تستمد جذورها من وجدان الشعوب وضمائرها وأمزجتها فكل ثقافة تمثل طابع أمتها ، وهى

هنا تختلف أيضا « عن المعرفة » التى هى ملك عام ، أما الثقافة فهى أقرب ما تكون الى الارتباط بالعقائد والقيم الأساسية للأمم

ومن هنا فنحن نأخذ حضارة الغرب لأن لنا سابقة فى بنائها ولكن لا نعتنق ثقافة الغرب ، وإنما ننظر فيها ونفتح لها الأ بواب ، ونحن واقفون على قواعد ثابتة من قيمنا الاصلية وقد أخذت اليابان حضارة الغرب دون فكره ، وكذلك أخذت أوربا فكر الاسلام دون ثقافته ، وليس من المعقول أن يفعل العرب والمسلمون غير ذلك ولا يمكن أن يتخلص العرب والمسلمون من القيم الاساسية لفكرهم وهى التى تقوم على أساس التوحيد والترابط بين العقل والقلب .

ولا شك أن الفكر الاسلامى العربى فى مقوماته واسسه لَه طابعه المتميز ، والمختلف كثيرا مع مقومات الفكر الغربى وأبرز هذه المخالفات فى ميدان العقائد ، وفى موقف الانسان بالنسبة للكون والحياة وفى نظرته القائمة على الاخلاق والتقوى وفى التربية والمجتمع والنفس .

وعبرتنا هنا من الغرب أيضا ، فإن الافرنج عندما تعلموا علوم المسلمين والعرب وفكرهم لم يسلموا ولم يتعربوا ، لقد ترجموها ثم حولوها الى قاعدة فكرهم الاساسية المستمدة من الوثنية اليونانية والمسيحية ممتزجين ، ونحن نؤمن أن فكرنا العربى الاسلامى له قيمه ومقوماته الحية الايجابية القادرة على الاخذ والعطاء .

٣ ـ الإسلام والعطاء

الواقع أن هذه الشبهة خاطئة الى أبعد حد ، فالفكر الانساني المعاصر يسير فى ثلاث حلقات : الفكر المادي الصرف وهو فكر الغرب وهو يقوم على اساس الدارونية والعلم التجريبى والتفسير المادي للتاريخ ونظرية فرويد فى مادية الاخلاق وإعلاء الجانب الغريزي فى الانسان ونظرية الذرائع التى تعلي من شأن المصلحة فى مقابل كل عمل ، والفكر الروحى الصرف الذى تعيشه آسيا والشرق الاقصى ، حيث البوذية والكنفوشيوسية ونظريات البراهمة وغيرها ، أما فى الاسلام فإن الفكر يقوم على ازدواج الروح والمادة ازدواجا متفاعلا مسبوكا ، فيه الدنيا والآخرة والعقل والقلب ، و يقوم أساسا على الايجابية والتفتح والتقدمية شريطة أن تكون أخلاقية إنسانية ، فالفكر الاسلامى ليس فكرا روحيا وليس فكرا ماديا ، ولكنه فكر متكامل انسانى عالمى ،

وهو فكر له أسسه التى تختلف عن جميع الافكار ، مفتوح قادر على التلقي والتعبير ، له قاعدة أصيلة قائمة على الاحتفاظ بذاتيته وقيمه ومقوماته ، يأخذ و يعطي دون أن يفقد ملامحه الأصيلة ، وفكرنا يتعرض اليوم لمواجة الفكر البشري تحت ضغط أجنبى فى محاولة لتغريبه واخراجه عن قيمة ، وهو قادر على أن يرد عن نفسه الرأى الوافد وأن يتسلم أسسه وأصوله و ينظر فى ضوئها و يبنى عليها وهو قادر على أن يقدم للانسانية كل خاصيتها فى مجال الروح والمادة ، والعقيدة والنظم ، والعلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان والعلاقة بين الانسان والمجتمع على حد سواء .

٤ ـ العروبة والاسلام

نعم العروبة غير الاسلام ، العروبة دعوة فى نطاق القوميات والاسلام دين وفكر وحضارة ، وليس فى الاسلام من بأس فى دعوات القوميات التى ظهرت فى القرن التاسع عشر فى العالم الاسلامى كوسيلة من وسائل المقاومة للمستعمر ، ولكن كل قومية تقوم الآن فى العالم الاسلامى ، لا تستطيع أن تنفصل عن الاسلام الذى هو جوهر فكرها .

والواقع انه لا خطأ فى الالتقاء بين العروبة والاسلام فإنهما قد التقيا منذ خمسة عشر قرنا ، وإن نظرية عروبة بغير دين كانت نظرية مستوردة من الغرب ، وهى تتصل بمفهوم الغرب والمسيحية ولكنها لا تتصل بالاسلام الذى هو ليس دينا فحسب ، ولكنه دين وحضارة . ولا شك أن قيمنا الاساسية المستمدة من الاسلام هى عامل فعال فى بناء الامة وأن الثقافة الاسلامية العربية هى فرش الوحدة العربية ، إذ هى فى الحقيقة تمثل وحدة الفكر والشعور ، والثقافة الاسلامية العربية اللغة ، هى إنتاج مشترك ساهمت فيه كل العناصر التى عاشت فى هذه المنطقة وفى مقدمتها تراث الاديان السابقة للاسلام ، وتراث الحضارات الفارسية والهندية واليونانية ، كل هذه الثقافات تبلورت فى بوتقة الاسلام التى تتمثل فى « التوحيد » والمعروف أن الغرب فصل القومية عن الدين ، لان الدين دخل على أوربا من الخارج فهو أجنبى عن طبيعتها وتاريخها فى حين أن الاسلام بالنسبة للعرب هو ثقافة وفكر وحضارة وتاريخ .

٥ ـ المسلمون واليقظة

القول بأن المسلمين لم يستيقظوا من نومهم حتى أوقظهم الغرب هو قول باطل ، فإن العالم الاسلامى قد استيقظ قبل ذلك

بأمد طويل ، هذه اليقظة التى بدأت فى منتصف القرن الثامن عشر سنة ١٧٥٠ بحركة محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية ، وما كان لها من أصداء فى العالم كله ، وهى تسبق وصول الجمعيات التبشيرية الاوروبية بمائة عام ، على الاقل ، وتسبق نابليون بأكثر من خمسين عاما ، ويذكر الجبرتى أن واعظا جلس فى جامع المؤيد بالقاهرة ١١٣٢ هجرية وكثر عليه الناس ودعا الى تحرير الاسلام ، من البدع والعودة به الى منابعه الاولى ، ولا شك أن فى تاريخ العالم الاسلامى كثير أمثاله فى مختلف الاقطار ، ولا ننسى دعوة العلماء فى مصر قبل وصول الحملة الفرنسية بسنوات للامراء بالعدل وأخذ العهد عليهم أن لا يظلموا الرعية ، ولا يضعوا قانونا بضرائب جديدة ، وهو ما أطلق عليه وثيقة حقوق الانسان الاسلامية العربية ، ومن هنا يتأكد أن يقظة العالم الاسلامى قد انبعثت من أعماقه وصدرت عن فهم صادق لضرورة استعادة دوره فى الصدارة ومقاومة الاستبداد والنفوذ الاجنبي معا .

٦ ـ دور الحضارة الاسلامية

أنكر كتاب الغرب دور الحضارة الاسلامية فى الحضارة

الانسانية ، وتابعهم فى ذلك كتاب من الشرق والعالم الاسلامى وقد ظل هذا التحامل فترة طويلة ثم تحول من بعد ، فكتب عشرات من أقلام الغرب عن أصالة هذا الدور ، ننقل منهم رأى « سيديو » الباحث المعروف الذي يقول :

« إن نفوذ الفكر الاسلامى ، كان باديا فى مختلف أدوار تاريخنا ، لا فرق فى ذلك بين زمن الغزوات الاولى وزمن الحروب الصليبية ، نحن مدينون للمسلمين والعرب فى الحقل العلمى ، و يظهر أنه قصد نسيان فضل المسلمين وانكار مالهم من تأثير فى الحضارة الحديثة ، فلقد حل الوقت الذى توجه فيه الانظار الى تصحيح ذلك ، إن العرب والمسلمين كانوا أساتذة اوربا كلها فى جميع فروع المعرفة .

وقال مسيو أوليرى : لو أزيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الاوربية فى اوروبا بضعة قرون ، وإنه حتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش فى جامعة مونبوليه بفرنسا .

وقال ماركس ماير هوف : إن المسلمين والعرب أسدوا جليل الخدمات الى بحوث الضوء ونظرياته ، هذا العلم الذى يتجلى لنا

فيه عظمة الابتكار الاسلامي ولولا المسلمون لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن .

وقال برنارد لويس : ان أوربا تحمل دينا مزدوجا للمسلمين والعرب ، فقد حافظوا على التراث الفكري العلمي الذى خلفه اليونان وتوسعوا فيه ومن المسلمين والعرب تعلمت أوربا طريقة جديدة في البحث هى طريقة تضع العقل أولا وتنادي بوجوب البحث المستقل والتجربة .

٧ ـ الفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية

خطأ القول بأن الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية وهذا الادعاء باطل ، فأن الفلسفة الاسلامية قامت أساسا على التوحيد ، وهو ما ليس مذكورا ولا معتنقا ولا معروفا على الاطلاق فى فلسفة اليونان ، والواقع أننى أقول مع الدكتور على سامى النشار أننا لم نكن عالة على اليونان وأن فكرنا الفلسفي لم يكن موصول الوشائج بفكرهم ، بل على العكس تماما كان له الكيان المستقل ، والينبوع الذى تفجر منه النور وأننا لم

نـكـن أبـدا صورة اليونان ، بل كان لنا على المشرق الذى سطع فى أوربا غير اسبـانـيـا وصـقـلـية ، النور المستمد من الاصل الالهي العظيم : القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وعـنـدى أن الفلسفة اليونانية قد دخلت على الفكر الاسلامى الـعربى بعد قرنين كاملين من ظهور الاسلام ، و بعد أن اكتملت مـقـومات هذا الفكر ، ووضحت معالمه ، ولما كان أساس الثقافة الاسـلامـيـة الـعـربية هو القرآن ، فإنه قد رفض من الفكر الهليني الـتماثيل والصور ورفض تعدد الالهية . ورفض رأى ارسطو فى الله ، واصـطـنـع فـلـسفة خاصة تتلاءم مع مفهوم التوحيد ، وقد بدت الـفـلـسـفـة الاسـلامـية فى ثوب الصراحة والعلانية وهو ما يخالف غـموض الفلسفة اليونانية . هذا فضلا عن أن الفكر الاسلامى لم يـقـبـل عـلـوم الـيـونـان وحدها بل اخذ علوم الهنود والفرس ومزج بـيـنـهـما ، وأضاف اليها ، وحذف منها ، ومعنى هذا أن كل ما قـبـلـه الفكر الاسلامي من الفكر الانسانى يونانى أو غير يونانى ، إنما قبله على أساس مقوماته الاصلية وفى ظل مفاهيمه التى رسمها القرآن ..

٨ ـ عظماء الفكر الاسلامى

تقول هذه الشبهة : إن عظماء الفكر الاسلامى لم يكونوا عربا وإنما كانوا فرسا وتركا .

وهذه شبهة شعوبية تعتمد على نظرية الآرية والسامية التى أثارها التغريب محاولا بها رفع قدر الآريين وفكرهم وإلقاء الظنون والشبهات على العرب .

والواقع أن نظرية السامية والآرية هى فى الاصل نظرية لغوية تولدت من وجود بعض المتشابهات بين اللغات الهندية واللغات الاوربية . وقد حملتها حركة الغزو الثقافى والتغريب فألقت بها فى معركة الفواصل بين اللونين الابيض السيد والملونين (العبيد !) ومن هنا بدأت إثارة الشبهات حول أجناس العلماء ، وهل هم فرس أو عرب .

والذى عليه إجماع العلماء والمنصفين أن الورثيات والدم والجنس (العرق) لا تكوّن الفكر ولا تبنى مقوماته وإنما البيئة

الفكرية هى التى تفعل ذلك ، البيئة بمقوماتها من اللغة والفكر والاحاسيس والمثل .

وقد جمعت « البيئة الفكرية الاسلامية » بين الفارسى والتركي والبربري جميعا وشكل الاسلام فكرهم ومزاجهم النفسى ، ومن هنا قامت وحدة الفكر الاساسية التى خلقت هذه العبقريات وأعطتها حيويتها ، ومن المعروف أنه لو لم تتأثر هذه البيئات أساسا بالاسلام ولم تتفاعل فى بيئة الفكر الاسلامى ، ما كان هذا الانتاج من التفكير الذى برزت به .

فضلا عن أن كل الفنون والعلوم التى تناولها هؤلاء الأعلام إنما كتبوا عنها وعبروا باللغة العربية ، وتحركوا فى دائرة فكرها القرآن ، ومن هنا فإن كل المفكرين المسلمين الذين كتبوا بالعربية هم مفكرون مسلمون وإنما العربية اللسان وليس الجنس أو الدم أو العرق ، وليس فى مفهوم الفكر الاسلامى : عربى وفارسى تركى فالكل تجمعه وحدة الفكر المستمدة من القرآن الكريم واللغة العربية ، وان كل ما يقال فى هذا إنما يراد به إثارة الشبهات والخلافات وفصم عرى الوحدة والاخوة .

٩ ـ شبهة الانفصال عن الماضى

وهذه قضية غريبة كل الغرابة ، فان الغربيين الذين يدعوننا الى ذلك لم ينفصلوا هم عن ماضيهم ، اذ الواقع المؤكد المعترف به والذى لا يختلف فيه أحد أن الفكر الغربى المعاصر ، إنما قام أساسا على التراث اليوناني والرومانى واستمد منه أبرز قيمه ودعائمه ، هذا فضلا عن أن الاغريق انتهوا وانفصلوا عن الغرب ألف عام ، بينما لم ينته المسلمون والعرب ، ولذلك يمكن أن يقال عن فكر الاغريق أنه تراث ، ولا يقال ذلك عن فكر المسلمين والعرب الذي ما زال حيا متفاعلا بالرغم من سقوط الدولة التى كانت تجمعهم ، وقد أشار المستشرق هاملتون جب الى هذا المعنى حين قال : انه ليس فى وسع العرب أن يتجردوا من ماضيهم الحافل وسيظل الاسلام أهم صفحة فى هذا السجل الحافل .

ولذلك فإن دعوى الانقطاع عن الجذور دعوة تغريبية وهى اذا لم تدع صراحة الى هذا الانفصال ، فإنها تصور هذا الماضى بصورة تبعث على السخرية به ، وهذا رجل من الغرب هو(اومرتو بيستز

بيانو) الاستاذ بجامعة (باليرمو) في صقلية يقول :

. ولا يمكن للمسلمين والعرب أن يكونوا كأمريكا التى تبدأ تاريخها فى القرن السادس عشر بينما للعرب تراث أربعة عشر قرنا

ان النظر الى الأمام لا يمكن أن يتم دون التزود من الماضى ، والبحث عن العناصر التى تكون منها جوهر هذا الماضى ، حتى يمكن بناء الحاضر والمستقبل من الماضى نفسه .

١٠ ـ اللغة العربية ، واللغة اللاتينية .

وهناك شبهة أخرى تحتاج أن يكشف النقاب عن وجه الحقيقة فيها ، تقول هذه الشبهة : إن اللغة العربية لغة ميتة كاللغة اللاتينية ، واللهجات هى اللغات الحية .

ووجه المقارنة هنا غير صحيح ، وغير صادق ، فقد انتهت اللغة اللاتينية وتحولت لهجاتها الى لغات ، وليس كذلك ما حدث بالنسبة للغة العربية التى ما زال القرآن يظاهرها ويجعل ما كتبت به منذ خمسة عشر قرنا مقروءا اليوم بينما لم يحدث ذلك مطلقا لأى لغة من اللغات الحية فى العالم الآن . ولن تموت اللغة العربية لأن علامة الربط بين عصورها هو القرآن أساسا ، وهذا

ما لم تجده اللغة اللاتينية ليحميها من الموت .

واللغة اللاتينية حين ماتت مع الدولة الرومانية لم تكن لغة الغرب كله ، بل إنها لم تستطع التغلب على اللغة اليونانية ، لان اللغة اليونانية هى الاخرى ارتبطت بحضارة اليونان ، فلما انشطرت الامبراطورية الى شطرين كانت اليونانية فى الشرق ، واللاتينية فى الغرب .

هذا فضلا عن أن اللغة اللاتينية كانت لغة ارستقراطية لا يتحدث بها الا « النخبة الممتازة » ولم تتغلغل فى طبقات العوام ، ولم تكن بالقطع لغة الشعب الاصلية ، وإنما كانت للشعب لغات أخرى ، كالصقلية ، والجرمانية والسكسونية .

ومن هنا يبدو الفارق البعيد بينها وبين اللغة العربية التى ارتبطت بالاسلام والقرآن ، وعاشت معه ونمت فى ظله ولم تكن لغة ارستقراطية خاصة بل كانت لغة الشعب والثقافة معا ، وقد أتاح لها الاسلام أن تتغلب على مختلف اللغات فى العالم الاسلامى ، وأن تأخذ المكان الاول فيه .

وكانت قدرتها على التطور عاملا فعالا فى بقائها واستمرارها ، وتطورها ، وقد وصفها (ارنست رينان) بأنها خلافا لكل اللغات ، ظهرت فجأة فى غاية الكمال ، غنية أي غنى ، بحيث

لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت منذ أول أمرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلاتهم اليها .

ومن هذه العوامل جميعا يبدو الفارق البعيد فى المقارنة بين لغة انتهت وماتت ، و بين لغة ارتبطت بالفكر الاسلامى وعاشت معه على امتداد تاريخه وما تزال .

١١ ـ التاريخ الاسلامى مليء بالثغرات

تقول هذه الشبهة ان التاريخ الاسلامى مليء بالثغرات وهو كلام تغريبي شعوبي ، فلا يوجد تاريخ لأمة أشد ترابطا من تاريخ المسلمين والعرب ، حلقات متتابعة يسلم بعضها البعض الآخر ، ولن تكون هذه الحجة الواهية دافعة للعرب والمسلمين إلى الانصراف عنه . وما أظن أن أمة من الامم تملك تاريخا مليئا بالبطولة والسماحة ونبالة القصد كما يملك العرب والمسلمون .

ونحن ننظر إلى تاريخنا نظرة منصفة ، فلا نقدسه ولا ندوسه ، ولكننا نحاول أن نستمد منه قوة ايجابية تدفعنا إلى التماس الآفاق

الجديدة للتقدم ، دون أن يكون معوقا لنا .

نأخذ منه العبرة لبناء القوة الروحية ، والثقة لتحرير الارض ، والعبرة لإلتماس الطريق الافضل ، فهوعامل بناء فى مجال التربية والاجتماع ، يشد العزائم و يكشف أمام شبابنا أن أجدادهم كانوا من بناة الانسانية والحضارة ، وأن بطولاتهم ما تزال نماذج للاريحية والسماح والعدالة والوفاء .

وهو بهذا المعنى عامل من أكبر العوامل في بناء حاضر الامة العربية ومستقبلها النفسى والاجتماعى .

نحن لا نقدس التاريخ ، ولا نتجاهله ، ولكننا نحرره من محاولات التزييف ونأخذ منه العبرة ونحاكمه بروح النزاهة والانصاف .

١٢ ـ لماذا لا يوجد مسرح إسلامى

يتردد القول كثيراً حول المسرح والقصة فى الادب العربى والفكر الاسلامى ، ويحاول بعض الباحثين أن يغض من شأن العرب والمسلمين لانه لم تظهر لهم أساطير او ملاحم او مسرح

كـمـا ظهر عند اليونان والغر بيين ، ويحاول آخرون أن يدافعوا عن الادب الـعـر بـى فـيـنـسـبـون الـيه وجود القصة ممثلة فى ألف ليلة والمقامات وغيرها .

وعـندنا أن كلا الرايين على خطأ بالغ ، وأنهما يجهلان طبيعة الامم والشعوب التى تصدر عنها الفنون والآداب .

ذلـك أن الـنـفس العر بية بطبيعة تركيبها ومن خلال مزاجها الـنـفسى الـذى اتـصـل بمـفـهـوم الاسـلام الـقائم على التوحيد قد تشكلت مطبوعة على الصراحة والوضوح ، فرض عليها ذلك ايمانها بالله ، وفرض ذلك جوها الصحراوى الواضح الذى يمتلىء بالضوء مـنـذ الـصـبـاح الباكر فاذا أشرقت الشمس عم الكون كله ضياء ونور .

فـالنفس العر بية واضحة كل الوضوح ، صريحة كل الصراحة لا تحـتـاج إلى الرموز ولا إلى الايماءات ولا تجد هناك ما يحول دون أن تـقـول الـكلمة ، وقد أعطاها فكرها الاسلامى هذه القوة وهذا الـوضـوح ، فـضلا عن بساطة العقيدة الاسلامية التى لا تحتاج إلى مسرحية طو يلة لتشرحها أو تجلي فى نفوس الناس وعقولهم فلسفتها

و بـالاضـافة إلى ذلك فقد شكل القرآن منهج البلاغة العر بية

فأقامها على الوضوح والايجاز حتى عد أبلغ الكلام هو السهل الممتنع وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه ان الحكمة قد اختصرت له اختصارا وقالت السيدة عائشة : رضى الله عنها أن النبي لم يكن يسرد كسردكم ولكنها كلمات موجزة .

كل هذه العوامل كانت بعيدة الأثر فى انتفاء وجود الملاحم والاساطير والمسرح فى الادب العربى والفكر الاسلامى فقد كانت هذه الملاحم والاساطير والمسرح نتائج لطبيعة الامم التى عرفت هذه الفنون ، فقد اتخذتها وسيلة للافصاح عن فكرها حيث عاشت فى بلاد تميزت بالليل الطويل والظلام والغيوم والسحب ، وعرفت الجبال العالية والبحار العميقة ، وما يتصل بذلك من مخاوف كانت تملأ سكان هذه البلاد ، ومن هنا نشأت الاساطير ، والقصص الخرافية ، وكانت العقائد المعقدة تحتاج الى تفسير وايضاح ، ومن هنا كان الرمز فى التعبير والمسرح للتوضيح فكيف يوجد مثل ذلك فى بيئة تختلف كل الاختلاف ، ولا تحتاج الى مثل هذه الوسائل لايضاح فكرها أو تبليغ كلمتها .

لقد رأى العرب الشعر اليونانى والقصة اليونانية إبان حركة الترجمة فاعرضوا عنها لأنها مليئة بالوثنيات والاساطير ، ولم يكونوا حريصين على نقل آداب الامم المتصلة بمشاعرها وعواطفها ،

ولكنهم كانوا يهدفون الى نقل العلوم والفلسفات الطبيعية والرياضية كما كانوا عازفين تماما عن نقل فلسفات الوثنية وآداب الاساطير..

١٣ ـ لماذا قتل الحلاج واضطهد ابن رشد :

حاول بعض الكتاب أن يتهم الفكر الاسلامى بما اتهم به الفكر الغربى من اضطهاد المفكرين والتضييق على حرية الفكر، وذلك بضرب الأمثلة بالحلاج وابن رشد فى مقابل جاليلو وغيره فى الغرب .

والحقيقة أن المقارنة باطلة ، فقد أفسح الاسلام لحرية الفكر مجالا واسعا ، حتى أنه سمح لسماع آراء المعارضين للاسلام من يهود ومسيحين ومجوس فى مجالس الخلفاء فى مجال الجدل والمناقشة والوصول الى الحقيقة .

ولقد أتاح الاسلام للفكر حريته ، ولم يقف أمام أي معبر عن رأيه داخل حدود الاسلام أو خارجة ايمانا بمبدأه الصريح (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) .

واذا كان الامر كذلك فلماذا قتل الحلاج والسهروردي واضطهد ابن رشد ؟ ذلك أمر آخر يختلف كل الاختلاف !

أما الحلاج فان آراءه لم تقتله ، ولكنه الذى قتله هو خيانته واتصاله بالخارجين على الدولة الاسلامية والعاملين على اسقاطها

وقد ثبتت عليه مكاتيب صريحة تحمل هذه الدعوة وتؤكدها : أما فكرة المنحرف فلم يكن سبب قتله ، وقد قال تلميذه ابن عربى اكثر مما قال هو ، ولكنه وقف فى حدود الفكر دون ان يتعداه .

وكذلك ثبت مثل هذا الاتهام على السهروردي .

ويحاول كثير من دعاة التغريب أن يفاخروا بالحلاج المقتول والسهروردى المقتول ، وذلك لاثارة الشبة حول الاسلام وموقفه من حرية الفكر .

ومن الحق أن ما قال به الحلاج والسهروردى لم يكن أساسا من الفكر الاسلامى ، ولا منطلقه « التوحيدى » الواضح ، ولكنه مستمدا من ثقافات قديمة هندية ومجوسية تقول بوحدة الوجود والحلول وغيرها من المذاهب المنحرفة التى لا يقرها الاسلام .

ولكن مثل هؤلاء لم يكن المسلمون يقاومونهم بالقتل بل بالنقد والكشف عن أهدافهم وأهوائهم . وتعرف مداخلهم واغراضهم ولم يكن الحلاج والسهروردى وحدهما في هذا الميدان ولكن هناك كثيرون تركوا لشأنهم حتى ماتت دعواتهم أما القتل فلم يصب الا الذين اتصلوا بالسياسة وارتبطوا مع الباطنية الذين كانو يستهدفون ازالة الدولة الاسلامية .

أما ابن رشد فإن أمره يختلف أيضا ، لقد كان ابن رشد صديقا للخليفة وكانت لهما جلسات ومطارحات وكان اعجاب الخليفة به بالغا ، وقد وصلت هذه العلاقة إلى الحد الذى كان يسمح لابن رشد أن يقول للخليفة (يا أخى) فلما أحس خصوم ابن رشد بما بلغته هذه المكانة البوا عليه وأثاروا حوله الشبهات وكان مما أحرجوا به قلب الخليفة أن ابن رشد لا يخاطبه بالعبارات التى تقال للخلفاء وقد أضافت الاحداث الى ذلك أمورا منها ما نقل إلى الخليفة من أنه وصف الخليفة بأنه (أمير البربر) و بذلك جرده مس مكانه كأمير للمؤمنين ، كل هذا هو الذى حمل الخليفة الى أن يخاصم ابن رشد هذه الخصومة العنيفة ، فينفيه الى مكان ناء ، ويحرق كتبه و يأمر بعدم تداولها . غير أن أمر ذلك لم يستمر طو يلا فقد استطاع ابن رشد أن يصحح هذه المواقف في نفس

الخليفة وأن يبرر له التحريف الذى جاء فى عبارة (أمير البربر) وكان ابن رشد يقصد (أمير البرين) وانتهى الموقف عند هذا الحد .

و يعنى هذا كله أن ما يردده دعاة التغريب والغزو الثقافى محرف عن أصوله التاريخية فى محاولة لا تهام الفكر الاسلامى .

١٤ ـ دعوى مظللة

و يردد المستشرقون والمبشرون ودعاة التغريب دعوى مضللة هى أن الاسلام دين ، يمثل العلاقة بين الله والعباد ، وذلك وفق المفهوم اللاهوتي المعروف فى الغرب ، وهم فى هذا ينتقصون الاسلام فى أكبر مقوماته ، فالاسلام دين ونظام مجتمع ومنهج حياة ، فاذا فصلت منه هذه الجوانب وقصر على العلاقة بين الله والناس كان ذلك تحريفا خطيرا لمضامينه وأسسه .

ولقد قامت على هذه المفاهيم المنحرفة نتائج مضللة كثيرة حاولت أن تنفذ الى قلب الفكر الاسلامى والثقافة العربية لتغير معالمه .

ولكن لماذا يهدف التغريب والغزو الثقافى الى هذا العمل ؟

الواقع أن الغرب يخشى الاسلام فى مفهومه الصحيح لأنه يحول دون نفوذه و وجوده وسيطرته و يدفع المسلمين إلى مقاومته وتحرير

أرضهم منه ، ولقد عرف الغرب الاستعماري هذا فركز على إثارة الشبهات حول القيم التى حررته قبلا من كل غزو ومن كل أزمة ومحنة ولذلك فقد حرص على أن يقيم نفوذه على قواعد من التدخل الثقافي والفكرى قوامها :

١ ـ مدارس الارساليات التبشيرية وجامعاتها المنبثة فى العالم الاسلامى .

٢ ـ تعزيز حركة التبشير بنوعيها التبشير العلني والتبشير الخفي ودعمها بالاستشراق .

٣ ـ اقامة دعوات هدامة مختلفة تحمل فى تضاعيفها الدعوة الى الاقليمية والتعصب والخصومة واعلاء القبليات والطائفية .

٤ ـ تدعيم حركات الالحاد والاباحة المتسترة وراء الصهيونية والماسونية والبهائية والروحية الحديثة والثيوصوفية .

٥ ـ اذاعة فلسفات الفرو يدية والوجودية والبراجماتزمية وآراء وليم جيمس ودوركايم وكلها تهدف الى تدمير قيم المجتمعات والدعوة الى الحرية المطلقة الخارجة عن القيم والضوابط .

فاذا وصل التغريب الى إقناع المسلمين بأن الاسلام دين لاهوتي فحسب ، اتضح الطريق امام الغزو الاباحي والالحادي الذى سيؤدي الى تدمير القيمة الاخلاقية والروحية والنفسية فى

الانسان المسلم والانسان العربى بحيث يصبح نموذجا زائفا للفكر الغربى ، بمعنى أن تنطوى طبيعته الاصلية ومزاجه النفسي والروحي وذاتيته وتنصهر فى أتون الدعوة العالمية والأممية الهادفة أساسا الى استعباد الامم والشعوب والقضاء على أديانها ومقوماتها وجعلها خدما لاهداف الاستعمار العالمي الذى تقوده الصهيونية العالمية .

١٥ ـ تكامل قطاعات الفكر

تحاول الشبهة أن تقر تجزئة قطاعات الفكر الاسلامى وانفصالها بينما لا يقر الاسلام هذه التجزئة و يقرر تكامل عناصر الفكر فى وحدة واحدة .

فالفكر الغربى يجرى على الفصل بين المجتمع والدين و بين السياسة والاخلاق ، و بين الادب والعقائد و بين العلم والدين .

وذلك جريا على منهجه الذى يفصل بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، و بين الدنيا والآخرة وفى ضوء انكاره للغيبيات واستعلاء مفاهيمه للمحسوس والعقل والتجربة وانكار ما سواه من وسائل المعرفة .

أما الاسلام فان منهج المعرفة الذى أقره استمدادا من القرآن الكريم يجعل للمعرفة جناحين هما العقل والقلب ، ومن هنا فهو يجعل عناصر الفكر كلها تدور حول بناء الفرد و بناء المجتمع ومن هنا فلا تنفصل فيه الاجزاء ولكنها تتكامل وتتلاقى فى توازن وموائمة شاملة من حيث أن الانسان نفسه روح ومادة وقلب وعقل .

والاسلام يقر التخصص ولكنه يراه مرحلة تالية للتكامل غير منفصل عنه فنظرة الاجتماعي فى الفكر الاسلامي تشمل السياسة والاقتصاد والقانون وعلم النفس والتربية وكذلك كل عامل فى مجال من هذه المجالات .

والادب فى مفهوم الاسلام لا ينفصل عن ترابطه بالمجتمع والاخلاق والدين .

١٦ ـ اللغة والفكر

تجري محاولة التغريب والغزو الثقافي على قاعدة القول بأن اللغة ملك لأهل العصر ، ومن حقهم أن ينظروا فيها نظرة تفصلها عن ماضيها وكيانها . ومن الحق أن يقال إن هذه النظرة الى اللغة

هى نظرة غربية وليست عربية أصيلة . وذلك أن اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى بظاهرة أساسية هى نزول القرآن الكريم بها ومن ثم فلم تعد لغة أهلها أو لغة عصر بذاته ، فيكون من حق أهل هذا العصر أو هذه الامة أن تعمل فيها عملها .

فاللغة العربية ليست لغة قطر واحد ، ولكنها لغة العرب عامة ، وهى لغة وطن للعرب ولغة ثقافة لسبعمائة مليون مسلم ، ومن هنا تبدو صعوبة القول الجرىء بقدرة أحد على التصرف فيها من خلف هذه الملايين ودون إرادتهم و بعمل قد يفسد عليهم ثقافتهم واتصالهم بالفكر الاسلامى و بالقرآن وأسس الاسلام نفسه التى ارتبطت باللغة العربية ارتباطا جذريا . وعلى الذين يتصدون لأمر اللغة أن يعلموا أن اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى من حيث أنها لغة أمة ولغة فكر .

وإن الدعوة الى تحرير اللغة هى دعوة مغرضة يراد بها عزل اللغة عن القرآن والايغال بها فى متاهات العامية و بذلك تنفصل الاقطار العربية ، كأمة ، وتنعزل عن ثقافتها وتراثها الاسلامى .

١٧ ـ المعرفة والعقيدة

هناك محاولة لتمييع الفارق بين المعرفة والعقيدة وذلك تحت

اسم « وحدة الثقافة » فالمعارف عامة والعقائد خاصة . ولكل أمة عقيدتها والعقائد كالثقافات تستمد مقوماتها من قيم الامم وأخلاقها .

وللامة العربية عقائدها التى تتصل بدينها وطبيعة تكوينها أما المعارف فهى عالمية عامة ليس لها طابع قومى أو وطنى .

ومن هنا فإن الدعوة إلى التفرقة بين المعرفة والعقيدة هى عمل من أعمال الاصالة الفكرية والمحافظة على الذات وحماية العقائد التى تقوم الأمم باستنباطها من أديانها وقيمها ومثلها العليا ، وفى مجال العرب والمسلمين نجد أن عقائدنا لها طابعها الخاص المستمد من القرآن والاسلام ولنا نظرتنا التى تصوغها عوامل كثيرة شكلت هذه الامة قوامها التوحيد والنبوة والغيبيات والارتباط الكامل بين القلب والعقل والعلم والدين والدنيا والآخرة وتقوم الاخلاق فيها بإقامة حزام شامل أو قاسم مشترك أعظم على مختلف القيم والمقومات فى مختلف ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والتربية .

ومن حقنا فى ضوء قيمنا أن ننظر فى المعارف العامة وأن نأخذ وندع ، دون أن تفرض علينا فلسفة ما أو نظرية ما أو مذهب من المذاهب التى تصطرع فى الثقافات العالمية والفكر البشري .

ومن حق كل أمة لها ثقافتها الخاصة وفكرها المستمد من مقوماتها ودينها أن تشكل عقائدها على النحو الذى يتفق مع ذاتيتها الخاصة وتستمد وجوده من كيانها و يصدر عن مزاجها النفسي والاجتماعي .

١٨ ـ الفلسفة والعلم

هناك شبهة اخرى تتصل بالفلسفة والعلم ، ذلك أن دعاة التغريب يحاولون القول ادعاءا بأن هذه المذاهب الفلسفية المنثورة هى علم خالص ، والحقيقة أن هناك فارقا عميقا بين العلم و بين الفلسفة .

وكتوطئة للتفصيل نقول إن مختلف نظريات المعرفة الآن تجرى فى مجال علمي وتعتمد على الاحصائيات والتجارب والنظريات العقلية والتجريبية غير أن مجال النظريات الانسانية يتعذر معه أن تقوم الدراسات فيه على النحو العلمي المعملي التجريبي ، لأنه يتصل بالنفس والانسان والعقل والقلب والغرائز والروح ، وهذه كلها قوى معترف بها ولكنها لا تخضع للمعمل ، ولذلك فإن الابحاث فى مجال النفس والاخلاق والاجتماع

والتربية لا يمكن أن تقوم على أساس علمي بمعنى التقدير المعلمي والتجريبي ، وقد تقرر أن هذه النظريات الانسانية هى « فلسفة » وليست « علما » ومن هناك فإن ما تصدر عنه ليس عملا خالصا يمكن أن يقال أنه حقائق ثابتة مقررة تقبل كقوانين و يسلم بها تسليما صحيحا وإنما يكون « العلم » قاصرا فى الحقيقة التى يقررها المعمل فى مجال الطبيعيات والكمياو يات وعلوم الطب وغيرها من العلوم .

أما بالنسبة لدراسات النفس والاخلاق والاجتماع فإنها لا تخضع لذلك ولا يجوز أن يقال لما يصل إليه الباحثون فيها إنه حقائق علمية ثابتة مقررة .

وغاية ما يقال فيه أنه وجهة نظر فيلسوف ونظرية قابلة للصواب والخطأ ، وقد تصدق فى بيئة ولا تصدق فى أخرى وقد تصلح لعصر ولا تصلح لعصر آخر .

ولذلك فإن وصف نظريات اجتماعية أو نفسية ما بأنها علم ، هو قول لا يقره العلم نفسه ولا يقول به أصحابه .

ولابد لنا فى مجال الفكر الاسلامي والثقافة العربية أن نكون حريصين أشد الحرص على هذه التفرقة وعلى معرفة ما هو فلسفة .

وأن نكون على ثقة بأن كل أمر غير « القرآن » والسنة الصحيحه عن الرسول الأمين المؤيد بالوحى ، يؤخذ منه و يرد عليه وليس لها شبهة قداسة أو تسليم كامل مع ملاحظة أن بعض النظريات العلمية التجريبية التى ثبتت سنوات طو يلة قد جاءت اليوم نظريات أخرى هدمتها كنظرية الجوهر الفرد وغيرها .

١٩ ـ الثقافة والحضارة

من الشبهات الخطيرة المثارة والتى كثر ترددها القول بترابط « الثقافة والحضارة » .

وأن على الأمم التى تأخذ الحضارة الغر بية أن تأخذ الثقافة أيضا ، ذلك لأنه لاسبيل إلى التفرقة بينهما .

ومن الحق أن يقال فى هذا المجال أن الأمم حين تقتبس من أمم أخرى لا تنقل الثقافة ، ولكنها تنقل الحضارة الممثلة فى الوسائل المادية فى الحياة الاجتماعية ، أما الفكر فلا سبيل إلى نقله ، لأن لكل أمة فكرها وتجر بة اور با مع الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى قد سبقت على الطريق ، فقد نقل الغر بيون

الحضارة الاسلامية وترجموا العلوم ونقلوا المعامل وأدوات التجارب ولكنهم لم يقبلوا الفكر الاسلامى المستمد من القرآن والتوحيد ، وأقاموا فكرهم وثقافتهم على أساسها القديم المستمد من الفلسفة اليونانية الاغريقيه ، وجاءت استمدادتهم من الفكر الاسلامى خالية من طابع هذا الفكر ، فقد جردوها وصهروها فى ثقافتهم وكيانهم ، فلم يتحولوا بها ، فلماذا لا يقف المسلمون مثل هذا الموقف و يقلدوا الغرب فى هذه الخلة ، وذلك هو الأمر الطبيعي للأمم والثقافات والاتجاه الصحيح لعلاقات الحضارات بين الشعوب .

فالقول بأن على العرب والمسلمين أن ينقلوا الحضارة وثقافتها « ما يحمد منها وما يعاب » هو قول باطل مغرض وهو صوت التغريب والغزو الثقافى ، وهو ليس خالصا لوجه الحق ولا وجه المعلم ولا خالصا فى نصح هذه الأمة ، ولكنه زيف وغش يراد به صهر هذه الأمة فى أتون الفكر الغربى . وتحويل الفكر الاسلامى إلى فكر تابع ذليل قد سقطت عنه مقوماته وذاتيته وذاب فى الأممية والشعوبية العالمية وهو أمر لن يحدث فى الاسلام ، وجذوره العميقة التى لا يمكن إزالتها ولأن المسلمين والعرب قد بلغوا مرحلة الرشد الفكرى فلم يعودوا يخدعون عن رأى مضلل مزخرف

، فضلا عن الثقة الكاملة بإشارة القرآن (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)

٢٠ ـ قولوا من كتب اولا

من أخطر ما يواجه الباحث والقارىء الاسلامى وجود مؤلفات ودراسات وموسوعات كثيرة عن الاسلام والفكر الاسلامى كتبتها أقلام عربية أو أجنبية ، لاغلبها شهرة ودوى فإذا أراد الباحث أو القارىء أن يتعرف إلى شيء من التاريخ أو الفقه أو اللغة سارع إلى مثل هذه « المراجع ! » فنظر فيها وظن انه بذلك قد وصل إلى مقطع الرأى فى الامر الذى يبحث عنه . والحق أن المنهج العلمي للبحث والمراجعة لها أصول وقواعد تقوم على أساس التعرف إلى أمرين إلى شخصية الكاتب أولا ثم إلى سلامة النص .

وليست شخصية الكاتب هنا تكون موضع الثقة لأنها مشهورة أو لامعة أو يجري تداول أثارها ، فإن حركة الغزو الثقافي والتغريب قد أثارت حول بعض كتابها وأتباعها ضجيجا وشهرة وحاولت به أن تدعم مراكز هؤلاء فتصبح كتبهم مراجع موثوقا

بها ، ومن هنا فقد كان علينا أن نتواصى ونوصي أبناءنا وتلاميذنا دائما أن يعرفوا من كتب أولا ، وأن نعرض هؤلاء الكتاب على مقاييس الجرح والتعديل التى عرفها فكرنا الاسلامي منذ وقت بعيد وحقق بها أصدق نظرة علمية فى تقدير الكتاب وما يكتبون .

والمسلم لا تهزه الأسماء اللامعة ، ولكن يهزه الحق والصدق ، وهو يؤمن أساسا بأنه ليس هناك حق صادق موضع الثقة غير القرآن المنزل وكلام الرسول المعصوم « السنة الصحيحة » وما دون ذلك فهو شيء (يؤخذ منه و يرد عليه) و يقبل و يرفض ، و يعرض جميعه على أصول القرآن ومنطقه ومنهجه فإن اتفق معه قبل والا رفض ، أما الاسماء اللامعة والمراجع ودوائر المعارف وغيرها من كتب فإنها يجب أن تكون موضع نظر ، فإن هناك شرا كثيرا لحق بهذه الأعمال .

٢١ ـ الاحجار والبطولة

تختلف نظرة الفكر الاسلامي عن نظرة الفكر الغربى فى أمور كثيرة ، وفى مقدمتها « البطولة » وتقديرها والاحتفاء بها ، فالاسلام لا ينظر الى البطل أو العظيم بقدر ما ينظر إلى (العمل)

الذى قدمه ، ولذلك فهو حين يحتفى بالبطل يعيد الذكر والتقدير لعمله ، و يدعو إلى الإنتفاع به ، وهذا هو السر الصحيح الواضح وراء انصراف الاسلام عن الصور والتماثيل كوسائل لتكريم الابطال .

ذلك أن تلك الاسماء الكثيرة التى تتردد فى الغرب على أنها آلهة وأنصاف آلهة ، مما أورده اليونان والرمان وغيرهم هؤلاء جميعا لم يكونوا فى الأصل إلا أبطالا أعجبت بهم أمتهم وتعلقت بهم ثم شاءت بعد ذلك أن ترفعهم من مقامهم الانساني إلى مقام التأليه .

وانصرفت عن مفهوم التقدير العملي لعمل البطل إلى عبادة البطل نفسه . و بذلك نشأت عبادة جديدة صرفت الناس عن العبادة الاصلية وهى عبادة الله الواحد الأحد .

وقد أصبحت عبادة الأ بطال ، وعبادة الجمال ، وتأليه الإنسان عبادات تتفق مع طبيعة النفس الغربية التى استمدت مفاهيمها فى العصر الحديث من الوثنية اليونانية .

ومن هنا فقد حرص الإسلام عى تحرير أهله من عبادة الفرد ، أو عبادة شيء ما ، إلا الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا كان حرص القرآن على أن يصف أعظم شخصية عند المسلمين وهو

محمد صلى الله عليه وسلم النبي المؤيد بالوحي بأنه بشر ، وأنه يحيا ثم يموت وأنه رسول ، يدعو الناس إلى الدين الحق وإلى عبادة الواحد الأحد ، ومن هنا حفظ الإسلام مفهوم البطولة من الإنحراف إلى عبادة الفرد ، وحفظ عبادة الله من الوثنية أو الشرك .

لقد رفع الاسلام عن الفكر الانساني والعقل الانساني القيود وحرره من الاصفاد ، ولم يجعل للأحجار والتماثيل والاصنام مكانا فى ايمانه القائم على « التوحيد » الخالص .

٢٢ ـ كتب المحاضرات ومكانها فى الحديث العلمي

من أخطر ما يواجه الباحث المسلم والقارىء المسلم تلك النظرة الساذجة التى لا يستطيع معها أن يفرق بين الجوهر والعرض فيما يقدم له من التراث الاسلامي العربي .

فهناك كتب الاصول وهناك : كتب المحاضرات والتسلية وبينهما فارق كبير ، والبحث العلمي يجب أن يقوم على كتب العصر الأول التى استمد منها من جاء بعد ذلك من الباحثين فقد ألقى إلى الفكر الاسلامى بعد القرن الثانى فكر غريب عنه

من مترجمات اليونان الوثني ، ومن مترجمات المجوسية الفارسية القديمة ومترجمات الغنوصية الهندية ، وقد كانت هذه الفلسفات والمفاهيم بعيدة عن التوحيد قائمة على أصول حاربها الاسلام وقاومها ، ولقد وقع الصراع بين حقيقة الاسلام ، وبين هذه الفلسفات وامتد طويلا ، ثم انتصر الاسلام من بعد ، غير أن هذه الكتب وهذه الآراء ما زالت موجودة . **وقد بحث عنها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب وأعادوا** طبعها ليثيروا بها الشبهات من جديد فى فكرنا .

ومن هنا كان من الضرورى التيقظ للمصدر والمرجع والتراث القديم ، ولقد حاول بعض كتاب الادب والنقد تقديم كتب المحاضرات إلى الباحثين في الجامعات وكليات الادب ، ومن أجل اتخاذها مراجع يعتمد عليها فى إقرار شبهات أو إفساد القيم العربية الاسلامية ، ومن هذه الكتب : ألف ليلة والاغانى وكليلة ودمنة ورسائل إخوان الصفا وما جمعه الرواة من أحاديث وأكاذيب وأضاليل مما أشار اليه ابن النديم فى كتابه الفهرست وهو من القصص الذى كان يدور على الالسنة وليس له أي سند علمي صحيح .

ولو راجعنا تاريخ ابتعاث هذه الكتب وإعادة طبعها لعرفنا

أن الذين قاموا بذلك هم المبشرون والمستشرقون وخريجوا معاهد الارساليات وأن ذلك كله كان ضمن خطة واضحة محددة يراد بها إغراق الدراسات العلمية بكل مضطرب ومشكوك فيه وإعطائه صفة المراجع العلمية .

٢٣ ـ ألف ليلة والأغاني

يعد كتاب ألف ليلة والأغانى فى مقدمة الكتب الخطيرة التى حاول الغزو الثقافي التركيز عليها وإعطائها صفة المراجع العلمية والتى قدمها كثير من الباحثين لطلبتهم ، واعتمدوا هم عليها فى إقرار أحكام باطلة ومن ذلك هذا الحكم الذى أصدره أحد الكتاب (١) معتمدا على كتاب الأغانى وحده من أن العصر الثانى الهجرى (كان عصر شك ومجون) وقد تجاهل هذا الكتاب أن الاغانى ليس كتاب تاريخ وأنه لم يكتب إلا عن شيء واحد هو الأغانى بينما كانت الحياة الفكرية والاجتماعية فى العصر الثاني الهجري تزخر بفنون مختلفة من الفقه والأدب واللغة والتصوف والزهد والعلم التجريبي ومباحث الاقتصاد والسياسة ، وكان هناك عشرات من الباحثين والعلماء ، يمثلون

(١) طه حسين .

واجـهـة هذا المجتمع ، ولم يكن أمثال أبي نواس و بشار وغيرهم مـن الماجنين إلا ذيولا لهذا المجتمع فمن الخطأ اعتمادهم مصدرا لإقرار حكم على عصر بكامله .

٢٤ ـ شعر عمر الخيام

هـنـاك بـعـض الاخطاء المتعمدة والمغالطات المقصودة ، التى تـذاع فى بـراعـة وتـبـث فى مـكـر عـمـيق ، تستطيع أن تثبت فترة وتـستشرى فى غفلة من الحق ، طالما أن أصحابها يرعونها ويحمونها و يدافعون عنها ، وطالما يقف الناس فى استسلام لا يقره الاسلام أمـام أي ظـاهرة من الظواهر ، فنحن لن نستطيع أن نحقق مفهوم اليقظة والمواجهة للغزو الفكرى إلا إذا كنا فى يقظة كاملة أمام أي فـكـرة جـديـدة تـلـقـى الينا ، ومن اخطر هذه الشبهات ما حاول الاسـتـعـمـار أن يـضـيفه إلى عمر الخيام العالم الفلكى الاسلامي الـبـارع . مـن نسبة شعر وثني إليه يحمل صورا عاصفة من الالحاد والاباحة والدعوة إلى التحرر من القيم والإندفاع فى مجال الرغبات والأهواء .

ولقد صيغت هذه المؤامرة فى براعة فائقة ، عن طريق الشاعر الانجليزى (فتزجيرالد) ادعى أنه وقع على شعر قديم بالفارسية للخيام وأنه ترجمه إلى اللغة الانجليزية ومن ثم أذيع هذا الشعر وجرى على الالسنة وانتدب له فى العربية من ترجمه واهتم به من امثال الزهاوي والصافي النجفي وابو شادي وغيرهم .

وجرى هذا الشعر على الألسنة وفى الأغانى واحتفل به الاستعمار البريطانى بخاصة ففتحت الاندية فى بريطانيا وفى أجزاء كثيرة من العالم تحت اسم عمر الخيام ، ووضعت طوابع البريد والبطاقات ، وأطلق اسمه على فنون من المشارب والاقمشة وغيرها .

وقد ألقي هذا الشعر إلى النفس العربية والذاتية الاسلامية لتحاول أن تطعنها فى صميم مفهومها للتوحيد والايمان بالله لتنحرف بها إلى مفاهيم الوثنية الفارسية القديمة المستمدة من المجوسية والفلسفة الهندية القديمة ، و يقوم على ايثار اللذة والمتعة ، وإنكار الجهاد والقوة وسلامة الشخصية الاسلامية القادرة دائمة على المقاومة وحماية الثغور ومواجهة العدو المتربص .

ولقد كان بالطبع للصهيونية العالمية دورها من وراء الاستعمار فى نشر هذا الشعر وترجمته إلى مختلف اللغات .

غير أن بعض أهل الحق وفى مقدمتهم العلامة مبشر الطرازي الحسيني الافغاني الملم بالادب الفارسي والعليم بتيارات التغريب ، لم يلبث هذا العلامة ومعه آخرون من الغيورين أن كشفوا عن هذه المؤامرة المدبرة ليس لافساد مكانة عمر الخيام وحده ، بل لوضع مثل هذه الشخصية الكبرى فى نظر المسلمين ف مكان الداعي إلى اللذة والشهوة وإذاعة هذا الانحلال الذى يتنافى أساساً مع مفاهيمه الاسلامية وقيم القرآن وما عرفه المسلمون من طوابع للذاتية الاسلامية والمزاج النفسي الذى صنعه لهم محمد صلى الله عليه وسلم وجرى عليه أئمتهم من بعد .

٢٥ ـ التصوف ومفهوم الاسلام

يجرى الحديث فى الأ بحاث المختلفة حول التصوف دون رؤية بعيدة أو عميقة للتفرقة بين نوعين منه . النوع الاول هوتصوف الاسلام والثانى التصوف التاريخي الذى نسب الى أمثال الحلاج وابن عربي والسهروردي وغيرهم .

وهنا لابد من التفرقة الدقيقة بين مفهوم الاسلام للزهد والتصوف والعزوف عن متاع الدنيا وهو مفهوم يستمد أساسا من

القرآن ومن آياته المحكمة ، ومن سيرة رسول الله وسنته الصحيحة . وهو مفهوم غاية فى القوة والكرامة وإعلاء الشخصية الانسانية وترفيعها ودفعها إلى مكان السيادة فى السيطرة على الأهواء والنزوات من ناحية والايمان العميق بالله وفضله و بيع النفس خالصة لله فى مجال الجهاد والدفاع عن الحق ومقاومة الغزو وحماية النفس الانسانية من الانهيار تحت ضر بات الشهوات والمطامع .

وقد استهدف الاسلام بذلك خلق نماذج عالية من البطولات الانسانية والشخصية الر بانية ، التى عرفها تاريخ الاسلام فى الخلفاء الراشدين وأبطال الحروب وقادة الفكر وأعلام الجماعة الاسلامية .

هذا شىء واضح ، ومختلف اختلافا عميقا عما يرد فى التاريخ الاسلامى مما يوصف بالتصوف الاسلامى متمثلا فى شخصيات ومواقف قامت على أساس الفلسفة الوافدة من المدارس الافلاطونية المحدثة ومن المجوسية ومن مفاهيم الهنود القدماء القائمة على وحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من صور الغنوصية كالاشراقية وغيرها .

فالاسلام فى ذاتيته المفردة ، المختلفة عن جميع المذاهب

الفلسفية والمفاهيم الروحية التى قد توصف بأنها دينيه أو عقائدية ، يقف وحده قيما على مفهوم التوحيد الخالص ، الذى يقر لله الواحد الأحد كل السلطان والقوة والعلم ولا يشرك معه فى ذلك أحدا من خلقه ، نبيا كان أو وليا ، وهو قائم بنفسه فيفصل عن الكون لا يتحد معه .

هذه هى الحقيقة التى يجب أن نستحضرها دائما ونحن ننظر فى تاريخ التصوف الاسلامى ، وفى الحديث عنه فللإسلام تصوفه المستمد من أصوله والقائم فى ظل التوحيد الخالص ، أما ما اضطرب فيه المسلمون من بعد حول الفلسفات أو حول التصوف الفلسفي أو حول الاعتزال وعلم الكلام فذلك كله يؤخذ بحذر شديد و ينظر إليه فى ضوء القرآن وفهم الرسول وتصرفه ، الذى لم يدع أمرا من أمور المسلمين إلا ووضع أساسه قبل أن يختار الرفيق الاعلى (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**) .

٢٦ ـ المعتزلة ومفهوم الاسلام

يتحدث المستشرقون كثيراً عن المعتزلة فى تقدير شديد

وإعجاب بالغ كأنما هم وحدهم مفكروا الاسلام وكل ما عداهم ليس شيئا مذكورا ، و يتابعهم فى هذا كثير من التغريبيين ودعاة الغزو الثقافي ، بل إنهم ليذهبوا إلى أبعد من ذلك فيرون أن السر فى ضعف المسلمين و وقوعهم فى مرحلة التخلف هو توقف عمل المعتزلة .

وهذا القول فى ذاته مغالطة كبيرة وهو بعيد عن الحقيقة ، التى يجب أن ننظر إليها من خلال أبعاد الفكر الاسلامى كله ، فليس الاعتزال فى الاسلام إلا مرحلة من مراحل التشكيل والبناء ، وهى مرحلة كانت لها أهميتها فى أول الامر ، عندما كانت تعمل لمواجهة دعاة الأديان الأخرى عن طريق الفلسفة والمنطق ، وقد أدت دورها وانتهى أمرها بانتهاء هذه المرحلة ودخول أهل الدولة الاسلامية فيه ، أما امتداد الدعوة من بعد ، واتساعها وتوغلها فى ميادين خطيرة ، ومحاولة إعلائها للعقل وحدة ، والإسراف فى هذا الاعلاء ، ثم إتصالها بالنفوذ والسلطان لتفرض مفهوما معينا على الناس جميعا فهنا يبدو خطر هذه الدعوة وخروجها عن جادة الحق ، وذلك بمن انضوى تحت لوائها من خصوم الاسلام من الباطنيين والمجوسين واليهود الذين كانوا يعيشون وراء مثل هذه الدعوات و يعملون لهدم الاسلام من خلال حماسهم لهذه المفاهيم الضالة .

ولقد ركزت المعتزلة على الفلسفة اليونانية وهذا هو سر إعجاب المستشرقين والمبشرين بها ، فإنها كانت المحاولة الكبرى لإخراج الاسلام عن جوهرة وذاتية ودفعه إلى نفوذ الفلسفة اليونانية لتغتاله بعد أن اغتالت اليهودية والمسيحية .

ولكن الاسلام بسلامة جوهره ووضوح ذاتيته استطاع بعد معارك طويلة أن ينجوا من سيطرة الفلسفة اليونانية ومن سيطرة الاعتزال وعلم الكلام والتصوف الفلسفى جميعا ذلك لان الاسلام قد حدد منهج المعرفة الاسلامى على اساس واضح : هو ثقافة القلب وثقافة العقل معا ملتقية منصهرة ، وهى فى ذلك تستمد اساسها من الانسان نفسه فهو روح ومادة وعقل وقلب ، ولذلك فان اى محاولة فى الفكر الاسلامى او المجتمع الاسلامى حاولت ان تعلى من شأن العقل وحده كالمعتزلة او من شأن الوجدان والقلب وحده كالتصوف الفلسفي والاشراقي قد سقطت لأنها لا تتفق مع طبيعة الاسلام وذاتيته ومزاجه النفسي والاجتماعي .

٢٧ ـ الأخلاق فى الاسلام ومفهوم الفلسفات

إن الأخلاق فى مفهوم الاسلام شىء أكبر من أن يكون

عـنـصـرا أو فـرعـا مـن فـروع الحـياة إنه عامل مشترك على مختلف عناصر الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتر بية والقانون .

ولـقـد جـاء الاسـلام : (عـقـيـدة وشـريعة وأخلاقا) منهجا كـاملا للـحـيـاة مـترابطا تمام الترابط ، متكاملا متوازيا لا يصلح جانب فيه دون الجانب الآخر ، أو منفصلا عن الآخر .

والاخـلاق فى الاسـلام تخـتـلـف عـن مفهوم الفلسفات التى سـيـطـرت على بـعـض الاديـان والمـذاهـب ، فـهـي ليست نظرية ولـيـسـت مـنـفصلة عن العقيدة ، فهي تستمد وجودها من الايمان بالله ومن الترابط بينها و بين المعاملة والشريعة .

ولـقـد حـاول بـعـض فـلاسـفـة الاسلام إعلاء شأن مفاهيم الـفـلـسـفـة الـيـونانية حين ترجم تراثها وحول البعض الر بط بينه و بين الـفـكـر الاسـلامـى ، ولـكـن الاسـلام كـان قد أقام قانونه الاخلاقي مستمدا من القرآن على أساس التقوى والعمل ، ولذلك فـالأخـلاق الاسـلامية لا تؤمن بتعبير « السعادة » الذى يتردد فى الـفـلـسـفة اليونانية فالتقوى هى أبرز معالم الأخلاق الاسلامية : اتـقـاء الخـطـر والمحظور والحرام والشر والنزول عن الحق الطبيعي والمكتسب فى سبيل الآخرين والحفاظ على الذات الانسانية كريمة عـالـيـة بـعـيـدة عـن عـوامـل التدمير التى تفرضها عليها الشهوات

والمطامع ، سواء فى مجال التعامل المادي أو مجال الطعام أو الحس

ولقد كانت الأخلاق اليونانية اخلاق نظرية خالصة منفصلة عن واقع الحياة ، وكانت الأخلاق فى فلسفات المجوسية والهندية زاهدة منعزلة عن المجتمع وكلاهما لا يعترف بواقع الحياة بينما يقوم مفهوم الاخلاق فى الاسلام على أرض الواقع وعلى أساس الاعتراف بالامور الحسية وقد وضحت فى النص القرآنى (**فاتقوا الله ما استطعتم**) وأقام الاسلام نظريته الاخلاقية على أساس إرضاء الغرائز فى حدود الشرع ، دون الاسراف الذى يدمر الشخصية أو يجعل من الانسان عبدا للاهواء .

٢٨ ـ فلنحذر دوائر المعارف

ما تزال دوائر المعارف التى فى أيدى الشباب العربى والاسلامى والتى كتبت بأقلام أجنبية مليئة بالاخطاء والشبهات وهى أغلاط بعضها مقصود ضمن مخطط التغريب والغزو الثقافي ، وبعضها نتيجة القصور عن فهم الاسلام والقرآن والمزاج النفسي العربي الاسلامي .

ولـذلـك فـقـد كان من الضرورى أن ينظر شبابنا فى حذر إلى هذه المؤلفات كمراجع و يعتد بها و يعتمد عليها ، وأغلب كتاب هـذه المـوسـوعـات مـن المـبشرين والمستشرقين المغالين وقد كتبوها لـرجـالهـم الـذيـن أعـدوا للعـمـل فى البلاد العر بية والاسلامية ، وقـامـت فى الاغـلـب على مـفـهـومـهـم الـغـر بـي للـدين والعقائد والاخـلاق وعلى مـفـاهـيمهم فى تفسير التاريخ وفى ظل نظرياتهم الـسياسية والاجتماعية والتر بو ية والقانونية المستمدة من الفلسفة الـيـونـانية والقانون الروماني والمسيحية ومن وثنيات الأمم القديمة كـالـفـراعنة والفرس واليهود ، وهى فى مجموعها تختلف عن جوهر الاسـلام الـقـائـم على الـتوحيد والحق والعدل والاعتراف بالغيب والنبوة والبعث والجزاء .

ومـا زلـنـا حـتى الآن نتطلع إلى دائرة معارف عر بية إسلامية نـواجـه بـهـا الأخـطـاء الـكـثـيـرة الـتـى تحـفل بها دائرة المعارف الاسـلامـيـة وقـامـوس المنجد والموسوعة العر بية الميسرة وغيرها مما يـعـتـمـد عـليه فى مدارسنا وجامعاتنا ككتاب بروكلمان وفيليب حـتـى ، ومن خير الموسوعات الجديرة بالمراجع دائرة فريد وجدي والـقاموس الاسلامي لأحمد عطية الله والقاموس السياسي له أيضا .

وقد أعطانا الاسلام قاعدة نلتزم بها فى مناهج البحث العلمي هى التعرف إلى الرجال الذين نأخذ عنهم ، عارضين اياهم على قانون (الجرح والتعديل) فلا نقبل منهم اذا كانوا قد اتهموا بالزندقة أو التبعية للتغريب أو النفوذ الاجنبي .

٢٩ ـ منهج المعرفة فى الفكر الاسلامى

ما يزال نفوذ التغريب يغري المسلمين بنظريات مضطربة فيها بلبلة خطيرة فهو يعلي احياناً من شأن التصوف الفلسفى ويترجم ترجمات واسعة للحلاج وابن عربى وغيرهم محاولا ان يجعلهم صورة لمفهوم الاسلام ، بينما يقوم مستشرقون آخرون بالاهتمام بالمعتزلة واعلاء شأنهم وقد جرى كثير من كتابنا ومفكرينا وراء هؤلاء دون وعى لحقيقة مفهوم منهج المعرفة الاسلامى .

والواقع ان المعتزلة والصوفية كلاهما لا يمثلان مفهوم المعرفة فى الفكر الاسلامي ، إذ أن المعتزلة كانت تعلي من شأن العقل وقد بلغت فى ذلك أقصى درجات المغالاة بينما أعلت الصوفية من شأن القلب والوجدان واعتبرتهما سبيلا وحيدا إلى المعرفة .

بينما الاسلام يقرر منهج المعرفة فيه على أساس العقل والقلب معا و يقيم على أساس ترابط الروح والمادة والدنيا والآخرة ، وهو لا يقر مفهوم العقل وحده فالعقل لا يستطيع أن يحكم فى كل القضايا كما لا يقر مفهوم القلب وحده فإن قضايا المجتمع الاسلامى جماع بين عالمى الغيب والشهادة .

ولقد تعددت نظريات الفلاسفة حول منهج المعرفة عن طريق الوجدان أو عن طريق العقل ولكن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من مصادره ومنابعه الاصلية إنما يستمد منهما معا فى جماع وموائمة وترابط وتكامل مصدره الانسان نفسه ، فما دام الانسان يجمع فى كيانه بين المادة والروح ، و بين العقل والقلب فإن المعرفة تقوم عليهما معا .

ولقد ذهب الغربيون إلى إعلاء العقل وحده وأنكروا الغيبيات بينما ذهبت الفلسفة الشرقية الغنوصية إلى اعتماد مفاهيم الوجدان والبصيرة وحدها وكلاهما يختلف مع جوهر الاسلام وأصوله .

ولربما أشاد المستشرقون بالمعتزلة من أجل اتصال مذهبهم بالفلسفة اليونانية وكان لهم مطمع فى أن تأكل الفلسفة اليونانية الاسلام كما أكلت من قبل المسيحية واليهودية ، ولكن المسلمين

الذين صارعتهم الفلسفة اليونانية طويلا لم يلبثوا أن انتصروا وحققوا منهجهم وجاء الامام العظيم ابن تيمية فكتب كتابه (الرد على المنطقيين) وهاجم مفهوم الفلسفة اليونانية جملة وكشف عن أن للقرآن منطقا خاصا ومفهوما ذاتيا متحررا من الوثنية الاغريقية ومن الغنوصية الشرقية .

٣٠ ـ نظرية وحدة الثقافة أو (الثقافة العالمية)

من أخطر محاولات التغريب والغزو الفكرى ، دعوى ما يسمى بالثقافة العالمية ووحدة الثقافة الإنسانية وهى إحدى مخططات الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي ذلك أن لكل امة ثقافتها التى تستمد من مقومات وجودها وعقائدها وفكرها وتراثها ولغتها ، وأن أمة من الامم ما دامت قد بلغت درجة الرشد الفكرى والتحرر من التبعية لا تستطيع ان تذوب فى ثقافة أمة أخرى أو تعتنق فكرها .

والثقافة تختلف عن المعرفة العامة وعن العلوم ، فالمعارف والعلوم هي نظرات عامة شاملة لكل الأمم والشعوب ، يمكن استعارتها واستيرادها ، وهى ملك للحضارات والمدنيات فكلها قد شاركت فيها على مدى التاريخ الطويل ، ولكن الثقافة

ليست كذلك ، الثقافات قومية ، مرتبطة بالأمم ، والعرب لهم ثقافتهم المستمدة من الاسلام والقرآن والشريعة الاسلامية واللغة العربية وتلك الذاتية المؤمنة على التوحيد والعدل .

ولذلك فانه من أكبر صور الخداع والمؤامرات أن يقال أن هناك ثقافة عالمية أو وحدة للثقافة الانسانية تجمع الأمم جميعا ، وأنه إذا كانت توجد هذه الثقافة فإن دورنا فيها سيكون دور التابع ، الخاضع للكيان الضخم الذى تفرضه الثقافة الغربية ، وهو دور لا نقبله ولا نرضاه ولقد كانت الثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى ذات دور عالمي وانساني فعال ولا يزال أثرها واضحا وقويا فى الحضارة الحديثة والفكر البشري كله الذى لا يمكن أن يتلقى عنه وحدة ولكنه يتقبل ما يتناسب معه من الثقافات المختلفة دون ان ينصهر فيها او ينطوى داخلها .

ولقد طرحت الصهيونية شعار الثقافة العالمية كهدف من أهدافها الرامية إلى تدمير ثقافات الأمم ، وتحطيمها من داخلها وفرض تلك النظريات الفلسفية التى دمرت الحضارة الغربية ومنها الوجودية والفرويدية والماركسية .

٣١ ـ اللغة والانفصال عن القرآن

هناك محاولات لتقييم اللغة العربية وفق مفهوم اللغات الاوربية بأنها ملك للأمم ومن حق الامم تطويرها وتعديلها والحذف منها ، وإعلاء العاميات واتخاذها لغات قومية بين جيل وجيل ، ولكن اللغة العربية دون لغات الارض جميعا لا تخضع لهذا المنطق ولا لهذه النظريات ، وذلك لأمر واحد هو ارتباطها بالقرآن ، الذى حفظها خمسة عشر قرنا فأبقى فكر القرن الاول حيا نابضا لقارىء اليوم دون أن يحتاج الى معين ، بينما لم يحدث ذلك لاى لغة من اللغات الحية اليوم التى لا يبلغ تراثها أكثر من أربعة قرون منذ اختفت اللغة اللاتينية وظهرت عاميات الفرنسين والانكليز والالمان وأصبحت لغات .

إن اللغة العربية هى لغة أمة ولغة فكر ، فمن حيث هى لغة أمة هى الأمُة العربية تعد حافظة لوحدة شعوب هذه الامة وفكرها وتراثها ، ومن حيث هى لغة فكر فهى لغة المسلمين فى مختلف أنحاء الارض و يبلغ عددهم اليوم سبعمائة مليونا تجمعهم جامعة القرآن والسنة والفقه وكلها من ميراث اللغة العربية .

ولقد كانت اللغة العربية هدفا من أخطر أهداف النفوذ الاجنبي ولذلك فقد ركز عليها فى محاولات لإثارة العاميات فى مختلف أنحاء العالم العربي عن طريق الاذاعات والقصص والمسرح ، وكلها محاولات لن تؤدى إلى تفكيك اللغة العربية أو دخولها المتحف ، وسيظل القرآن يحفظ لها وحدتها وقوتها وكيانها

وإن الدعوة إلى إقامة لغة وسطى بين العامية والفصحى هى إحدى محاولات الغزو الفكري وليس الهدف منها إلا إنزال العربية المكتوبة درجة عن طابعها الذى يجرى مع بلاغة القرآن والهدف هو فصل اللغة فى مستواها البلاغي عن القرآن و بذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهى إضعاف فهم القرآن واستيعابه وهو أمر هام وخطير ويحتاج إلى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها فاللغة فكر أساسا والعربية الفصحى مرتبطة أساسا بذاتية الاسلام ومزاجه النفسي والاجتماعي .

٣٢ ـ فترة ضعف وليس عصر الانحطاط

من أخطر ما وجه إلى عصر التجميع الذى وقع بعد سقوط بغداد وحتى قبل النهضة الحديثة التى بدأت باليقظة العربية

الاسلامية من قلب الجزيرة العربية وليس بالحملة الفرنسية كما يردد التغريبيون ، أقول أن من أخطر ما وجه إلى هذه الفترة عبارة (عصر الانحطاط) وهي كلمة بدأها المستشرقون والمبشرون ودعاة التغريب من رجال الارساليات التبشرية التى انتشرت فى العالم العربي والاسلامي .

والحق أن هناك فترة ضعف فى تاريخ العالم الاسلامي وهي مرحلة لا تزيد عن قرن ونصف قرن من الناحية السياسية وذلك خلال ضعف الدولة العثمانية فى دول كالجزائر ومصر ، غير أن هذه الفترة لم تكن مطلقا فترة انحطاط فكري فقد برز فيها عدد من الموسوعيين الأعلام الذين جمعوا الفكر الاسلامى فى موسوعات متعددة فحفظوه بها وحموه من التشتت والضياع ومهما وجه إلى هذه الموسوعات من نقد لضعف التبويب أو نقص التحليل فإنها تمثل عملا ضخما لا يمكن أن يوصف عصره بأنه عصر انحطاط ، لقد كانت كلمة الإنحطاط من كلمات الحقد الغربي والتعصب الموجه إلى الدولة العثمانية التى أرقت أوربا أربعمائة عام وحطمت مؤامراتها على العالم الاسلامي وحالت دون استئناف الحملات الصليبية مرة أخرى .

إن هنـاك كـلـمـات ومـصـطـلحات يجرى ترديدها فى كتب الـتـاريـخ والادب قـد دسـت بـغرض تحطيم معنو يات هذه الأمة وعلينا أن نتحرر من هذه الالفاظ وأن نصحح المفاهيم .

٣٣ ـ إسقاط الحضارة الاسلامية

هـنـاك محاولة متعمدة إلى تجاهل الحضارة الاسلامية وإسقاطها مـن الـتاريخ العالمي عندما يجرى الحديث عن النهضة والحضارة . ذلك أن الغرب يحاول دائما أن ير بط الحضارة بأرضه وفكره فيرى أن الحـضـارة الـرومـانـيـة قـد سقطت فى القرن الخامس وان عصر الـنـهـضـة فى الحـضـارة الحـديـثـة قد بدأ فى القرن الخامس عشر ، و يـطـلق على الفترة الواقعة بين الفترتين (العصور الوسطى المظلمة) وفى هـذا الـتـصـور تجـاهـل لـعـشـرة قـرون كاملة كان للاسلام والحضارة الاسلامية أكبر ألا ثر فى إبراز حضارة جديدة قامت على الـعـالم كله وأعطت البشرية نهجا كريما وطرحت على العالم كله قـيـمـا غـايـة فى الـقـوة والعدل والحق كانت تفقدها ولذلك فإنها سـرعان ما شكلت مجتمعا ضخما واسعا امتد من الصين إلى حدود فـرنـسـا فى قلب اور با فى فترة لا تزيد عن سبعين عاما وهو حدث ما يزال موضع دهشة الباحثين والمؤرخين .

والحضارة الاسلامية المستمدة من القرآن هي التي قدمت إلى الانسانية « المنهج العلمي التجريبي » ومنهج المعرفة القائم على ترابط العقل والقلب ، وعن طريق الاندلس العربية المسلمة استطاعت اوربا أن تنقل معطيات الحضارة الاسلامية فى العلم والفكر والمجتمع ، ومنها انطلقت حركة النهضة التى صنعت مقررات الحضارة الحديثة .

غير أن التغريب والتبشير والغزو الاستعمارى يحاول دائما أن يغضي عن هذه الحقيقة الضخمة على أساس أن الجنس المزهو المستطيل بدمه وعنصره لا يريد أن يشاركه عنصر آخر فى بناء الحضارة ولا يعترف له بذلك ، وأن النفوذ الاستعماري يريد أن يشعر أهل هذه الاوطان من العرب المسلمين بالذلة والتبعية ، ولذلك فهو ينكر فضلهم وأثرهم فاذا عرض لهذه الفترة قال : أن العرب والمسلمين نقلوا الفلسفة اليونانية وحفظوها وهذا ولا شك أفتئات كبير على الدور الضخم الذى قامت به الحضارة الاسلامية غير أن هناك بعض المنصفين قد أشاروا إلى الا ثر الكبير وأشادوا به ومنهم بريفولت ودابر وجوستاف لو بون والدكتورة هونكه فى كتابها الحديث (شمس الله تشرق على الغرب) .

٣٤ - نظريات التربية الغربية

حاول الاستعمار فى خلال فترة الاحتلال الطويلة التى سقط خلالها العالم الاسلامي فى براثن النفوذ الاجنبي ، أن يفرض منهجا فى التربية والتعليم مستمدا من مصادر فكره مستهدفا بذلك إخراج أجيال خاضعة تابعة ، لا ترى فى الاستعمار خصما وإنما ترى فيه ولاءا وإعجابا . وقد نجحت هذه المناهج نجاحا منقطع النظير فى هذا السبيل وكان من نتيجتها أغلب التحديات التى يواجهها العالم الاسلامى اليوم . هذه المناهج التى فرضها النفوذ الاستعماري كانت تهدف إلى أمرين :

أولا : ضرب مقومات الفكر الاسلامي والثقافة العربية فى مختلف مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والتربية ، وإشاعة الشبهات حول قيمنا العربية والاسلامية وتدميرها وخلق جو من الريبه والاحتقار والانتقاص حولها .

ثانيا : إعلاء مفاهيم الفكر الغربى والإشادة بها وتكريم بطولات الغرب وعظمائه وتاريخه وخلق جو من التقدير والاعجاب به والدعوة إلى العالمية التى تسحق مقومات الامم وتدفعها إلى الذوبان فى أتون الامم الغالبة .

ولقد اكتشف العرب والمسلمون أخيرا و بعد وقت طو يل مدى الأخطاء التى حاقت بهم نتيجة ذلك الاهمال وتلك السيطرة الخطيرة التى حققتها الإرساليات الاجنبية بمدارسها وجامعاتها ومدى الأ ثر الخطير الذى تركته فى أكبر قضايا الامة العر بية والعالم الاسلامي الكبير وذلك الولاء العميق للأمم الاجنبية الطامعة ، والتبعية التى خدمت أهداف الصهيونية والنفوذ الاستعماري ، كما ارتفعت الصيحات بالتماس منابع التر بية العر بية الاسلامية من مصادرها الأصلية كأسلوب وحيد لتحقيق العزة والقوة ولمواجهة الغزوة الصهيونية والأهداف الاستعمارية .

٣٥ ـ العرب قبل الإسلام

إن اختيار العرب لحمل أمانة الدعوة الإسلامية واختيار اللغة العر بية لنزول القرآن من الأمور التى ما تزال بعيدة الأ ثر فى دراسات الاجناس واللغات والأمم فقد اختار الله هذه الامة القائمة فى قلب الجزيرة العر بية لهذه الرسالة فاستجابت وحملت لواء الأمانة واندفعت بها إلى آفاق الارض واستطاعت أن تقيم هذا المجتمع الاسلامي الكبير فى فترة قليلة لا تتجاوز سبعين عاما

واستطاع الاسلام أن يعطي الأمة العربية هذه الوحدة وهذا التشكل الذى جعل منها أمة بعد أن كانت مجموعة من القبائل ، كما أعطى اللغة العربية هذه المكانة الخطيرة بين لغات الشرق والغرب حين نزل القرآن بها ، هذا القرآن الذي حفظ هذه اللغة من التمزق إلى لهجات على هذا المدى الطويل بينما تمزقت لغات كاللاتينية وماتت لغات أخرى كثيرة واستطاع العرب وحدهم ان يفهموا النصوص المكتوبة منذ خمسة عشر قرنا ، بينما لا يتاح الآن لأمة من الأمم أن تفهم من نصوصها المكتوبة ما يتجاوز ثلاثة قرون ...

غير أن التغريب والغزو الثقافى إنما يريد أن يعيد ربط الأمم فى حاضرها بماضيها البعيد متجاوزا هذه القرون الأربعة عشر ، متجاهلا أثرها الخطيرة فى تكوين الثقافات وتشكيل العقليات والأمزجة ، ومن هنا جرت محاولة رد العرب إلى الجاهلية والمصريين إلى الفرعونية والسوريين إلى الفينيقية والمغاربة إلى البربر وهي محاولة فاشلة لم تحقق شيئا وأثبتت عمق الروابط والجذور التي أكدتها صلة الأمة العربية بالإسلام واللغة العربية وأكدت أن التاريخ لا يرجع القهقرى وأن الامة التي دفعها

الإسلام بمنهج القرآن إلى التوحيد والعدل والأخلاق لا تستطيع أن تعود مرة أخرى إلى الوثنية والعصبية وصدق الله العظيم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) المائدة آية ٣

٣٦ـ مفهوم التراث وهل للإسلام تراث ؟

جرت محولات تغريبية كثيرة لإضفاء صفة التراث على الاسلام والفكر الاسلامي ، وذلك حتى ينفتح باب الشبهات من حول مضمون التراث وما يبقى منه وما يزول .

وللأمم تراث تنظر فيه لتجد من بين آثاره ما يعينها على النهوض فتقبله وتضيفه إلى واقعها وإن بعد العهد به . وانفصلت عنه الامم ، وتحولت فى مسيرتها ، ومن مثال ذلك التراث اليونانى والرومانى لأمم الغرب ، هذا التراث الذى توقف ألف عام تقريبا وماتت لغته الاصلية (اللا تينية) منذ عام ٤٠٠ ميلادية ثم جاءت حركة النهضة (الرنيسانس) فى القرن الخامس عشر فأرادت إحياءه والاستمداد منه ور بط الأ واصر بينه و بين الحاضر ، وربما ظن بعض دعاة التغريب أن مثل هذا يمكن أن ينطبق على الفكر الإسلامي مستمر متصل خلال أر بعة عشر

قرنا متشابكة لم يتخلف الفكر الاسلامي ومن هنا يمكن أن يوصف بأنه تراث والواقع أن الفكر الاسلامي مستمر متصل خلال أربعة عشر قرنا متشابكة لم يتخلف الفكر الإسلامي فيها عن العطاء للحياة العربية الاسلامية والمجتمع والحضارة عطاءا دائما متدفقا .

ومن هنا فإن الفكر الاسلامي الحي القائم المتحرك المتطور المتفاعل مع مجتمعه طوال هذا الزمن ، من العسير أن يوصف بأنه تراث ، وآية ذلك لغته العربية التى لا تزال تحفظ نصوصه حية نابضة حتى ليستطيع الباحث اليوم أن يقرأ لمن سبقوا خلال أربعة عشر قرنا وقبل ذلك أيضا دون أن يحتاج إلى جهد أو قاموس ، فمفهوم التراث لا ينطبق على الفكر الإسلامي الحي المتجدد الفعال وإنما ينطبق على الفكر الرومانى واليونانى المبتوت المنقطع الذى انفصل ألف عام ومن ثم فقد حق أن يكون موضع المراجعة والنظر والانتقاء ..

ومن الملاحظ هنا أن الفكر الاسلامي يرجع دائما فى مصادره إلى الأصول الأولى وأنه لا يعتمد الابحاث المتأخرة وخاصة ما كتب فى عهود التخلف والضعف وقد يرفض منها الكثير الذى لا

يتفق مع الاصول المؤصلة المتصلة اتصالا عضويا بالقرآن والسنة الصحيحة .

٣٧ ـ تجزئة الاسلام ، ودعوة تولستوى وغاندى

جرت دعوات خادعة فى العصور المتأخرة ، تحاول أن تحمل لواء السلام ونبذ الحروب ، والمقاومة السلبية وقد نسب ذلك الى تولستوي وغاندي وحاول الدعاة أن يرجعوا ذلك إلى مفاهيم كلمات المسيح عليه السلام .

وكانت المحاولة الماكرة تحاول أن تصور الاسلام على هذا النحو ، أو تنحي عنه جانب الغزوات والحروب وأبواب الجهاد والقتال ، وذلك حتى تختفى صورة المقاومة التى يفرضها الاسلام إزاء الغاصب وإزاء الغزو الخارجي .

ولقد حرص الاستعمار البريطاني وخاصة فى الهند أن يفرض مفاهيم تحملها جماعات مضللة تصور الاسلام بصورة السلام القائم على الجبن والاستسلام للغاصب ، وكذلك حرص الاستعمار الفرنسي فى الجزائر وغيرها أن ينحي من دراسات الاسلام وكلمات الخطباء باب الجهاد ، وذلك ايمانا من المستعمرين بأن

ذلك هو أخطر ما يواجههم فى الاسلام وأنه أداة المقاومة والدفاع عن النفس !

بل لقد بلغ الأمر ببعض الكتاب المضللين من قبل التغريب والغزو الثقافي أن يقفوا موقف التفرقة بين الاسلام فى مكة والاسلام فى المدينة و بين آيات القرآن المكي الداعية الى الترقب والإصطبار و بين آيات المدينة التى تحرض المسلمين على القتال .

والواقع أن الاسلام منهج اجتماعي كامل لا ينفصل فيه الحرب عن اسلم ولا يمكن أن يؤخذ من أحد جوانبه وحدها ، ولا يمكن أن يطبق على اي منهج إجتماعي آخر فهو حاكم لا محكوم ، ومن أراد أن يأخذ فليأخذه كله ، نظاما متكاملا شاملا ، ومن عجب أن الاسلام لا يدعوإلى الحرب ولا إلى القتال ولكنه يدعو إلى السلام على نحو أصدق مما تدعوإليه مختلف المذاهب والدعوات ، فهو يدعو المسلمين إلى اليقظة وحماية الثغور وشحنها واعداد العدة ، من القوة ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم ، وهو يدعوإلى الحذر فلا يلقوا أسلحتهم وأن يظلوا يقظين حتى لا يفاجئهم العدو من ثم فهو لا يدعوهم إلى الحرب وإنما يدعوهم إلى إتقائها ولو أن المسلمين أخذوا بمفهوم الاسلام لما

اجتاحهم العدو فى فترات الغفلة والقاء السلاح والانسلاخ من الصمود فى المواقع الأمامية والثغور وما اخذ المسلمون فى كل غزو خارجى الا من هذه النقطة التي ألح عليها القرآن وأكدها مرارا .

٣٨ ـ الكشف والاستعمار :

من الأخطاء التى استمرت وقتا طويلا فى كتب التاريخ والجغرافيا تصوير الزحف الاستعماري الذى قام به لفنجستون. وصمويل بيكر وفاسكودي جاما وهنري الملاح على أنه كشف للقارة الأفريقية أو أجزاء من آسيا او غيرها . بينما لم يكن هؤلاء جميعا إلا من طلائع التبشير يحملون أحقادهم على المسلمين والعرب إلى كل مكان وتاريخهم يشهد بما قاموا به من إغارات وإحراقات

وكل هذه المناطق التى ادعوأنهم اكتشفوها فى أفريقيا كان العرب قد جاسوا خلالها وكتب عنها المؤرخون المسلمون فقد وصل ابن بطوطة إلى أعالى نهر النيجر وإلى تمبكتو وسكوتو قبل أن يصل إليها الرواد الاوربيون بنحو ثلاثة قرون .

وما ذكر عن صمويل بيكر من أنه اكتشف منابع النيل الابيض ليس صحيحا علميا فقد كانت هذه المعالم معروفة وقد

وصفها رجال الحملة المصرية قبله بزمان طويل .

وأما الهند فقد كانت معروفة قبل وصول ماركو بولو وفاسكودي جاما بقرون .

والواقع أن ما وصف بأنه رحلات الكشف هذه التى وردت فى كتب التاريخ والجغرافيا محاطة بهالة من البطولة لم يكن فى الحقيقة إلا زيفا أراد به الاستعمار أن يشعرنا بأنه هو صاحب الفضل والعلم ، وقد كانت هذه الرحلات الطليعة الأولى للاستعمار وقد أشار لفنجستون في إحدى كتاباته الى هذا المعنى حين قال : أن نهاية الاكتشاف الجغرافى هي بداية العمل التبشيرى فإن الإرساليات التبشيرية كانت تتحرك وراء هؤلاء الرجال الذين كانوا في الأصل دعاة ومبشرين .

والمعروف أن هؤلاء الرحالة من البرتغال والأسبان إنما كانوا بمثابة طلائع لحركة التطويق التى بدأها الاستعمار الغربي بعد إجلاء المسلمين والعرب عن اسبانيا ضمن مخطط قصد به الطواف حول العالم الاسلامي والسيطرة عليه من الخلف .

٣٩ ـ الخلاف بين الدين والعلم :

يردد التغريبيون دائما تلك الدعوى الزائفة التى تقول

بالخلاف بين الدين والعلم ، وهى دعوى تهدف إلى تصوير الدين في موضع القصور وتصوير العلم في موقف القدرة والسيطرة العلمية الكاملة . وقد نقلت هذه القضية بجميع فصولها من الفكر الغربي وموقفه من دين الغرب الذين ليس هو المسيحية المنزلة السمحة . وإنما ذلك الدين الذي صاغوه فى إطار من المسيحية وفى مضامين من الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الروماني .

وفى ظل هذه المفاهيم جرى الخلاف بين الكنيسة والعلوم الكيماوية والطبيعية التي بدأت تحقق نتائج هامة بعد أن استولت أوربا على معامل البحث التي انشأها العرب والمسلمون فى اسبانيا ثم أخرجوا منها ، ومن هنا فإن خطوات التقدم العلمي التي عرفتها أوربا إنما كان المسلمون هم واضعوا أصولها و بناة قواعدها وهم أصحاب المنهج العلمي التجريبى الذي لم يكن يعرفه اليونان والذي صنعه المسلمون امتدادا لنظرة الاسلام إلى العلم ودعوة القرآن إلى النظر في الكون وتطويرا بالبحث العلمي من الفقه والتشريع الاسلامي أساسا .

ومن هنا يتكشف زيف الخلاف بين الدين والعلم فى الاسلام وفى الفكر الاسلامي ، وذلك أن الاسلام هو الذي صنع العلم الاسلامي ، وأوربا هي التي سيطرت على هذه العلوم ثم

نمتها ، فالخلاف خلاف محلي أو خلاف اوربى ، أو خلاف غربى قاصر عند حدود هذه الامم ، ولذلك فإن أمر نقله إلى عالم الاسلام والعرب وإلى الفكر الاسلامي ليس الا محاولة مضللة يراد بها تزييف الحقائق واحداث البلبلة والاضطراب ..

فالمسلمون لم يعرفوا رجل الدين ولم يعرفوا الكهنوب ولا سلطة المنظمة الدينية وليست لهم منظمة كالكنيسة ولم يعرفوا الحكومة الثيوقراطية ، ولم يقرر كتابهم المنزل الموثق شيئا خالف العلم كما حدث بالنسبة لبعض الكتب التي تعرفها الأديان .

ولقد قامت نظرية الفكر الاسلامي فى منهج المعرفة على تكامل الدين والعلم ، و بين العقل والقلب ، و بين الروح والمادة ، و بين العقل والنقل ، ومن هنا لم يحدث أبدا ولن يحدث ذلك الصدام أو الصراع فإن الاسلام يعتبر العلم جزءا منه ، و يرى أن العقل وسيلة المحسوسات والقلب وسيلة الغيبيات ولذلك فإن هذه الدعوى باطلة أصلا بالنسبة للفكر العربي الاسلامي .

٤٠ ـ الأساطير وسيرة الرسول :

كان أخطر ما واجه الفكر الاسلامي فى مراحله الأ ولى تلك

المحاولة التى أرادت أن تدخل إلى السنة النبو ية وإلى التفسير سيلا من الاسرائيليات والأكاذيب والاساطير ، وكان أصحاب هذه المحاولة هم خصوم الإسلام من يهود ومجوس وغيرهم ، وقد تنبه علماء المسلمين إلى هذه الظاهرة فقاوموها كاملة وحاصروها حصارا شديدا حتى قضوا عليها وقام علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وأمكن حصر التراث النبوى ككل وتحقيقه والكشف عن زائفه ، وكذلك جرى العلماء إلى تنحية هذه الاكاذيب عن تفسير القرآن .

وفى العصر الحديث بدأت محاولات جديدة لإضافة الاساطير القديمة مرة اخرى الى سيرة الرسول بعد أن نقيت هذه السيرة تماما ، وحررت من كل الاكاذيب ، وذلك عن طريق (تأديب التاريخ) وهو ما حاوله من أطلق على كتبهم هامش السيرة وغيرها وهى محاولة خطيرة و بعيدة الا ثر فقد أعطى هؤلاء الكتاب أنفسهم حرية الخيال فلم يقبلوا الاساطير على صورتها الساذجة القديمة بل أضافوا إليها وتوسعوا فيها .

وقد تنبه لذلك بعض الباحثين من أمثال الدكتور هيكل وغيره وكشفوا عن مدى الخطر الذى يتعرض له التاريخ الاسلامي باحياء مثل هذه الاساطير القديمة الوثنية والاسرائيلية وإعادة

إضـفـائـهـا على سيرة الرسول المنقاة الظاهرة التى حررت تماما من كل زيف أو إضافة .

وقـد تـبين تمـامـا أن هذه محاولة جديدة من محاولات التغريب أرادت أن تـسـتـغل أهتمام الناس بالسيرة النبو ية وعرضها عرضا جـديدا عـن طـريـق إسـلوب موسيقى فني ولكنه مسموم ، يحاول إضـافـة زيـف إلى الحـقـائق ، فى نفس الوقت الذي عمل فيه أهل الـسـنـة والجـمـاعة وفى مقدمتهم الامام العظيم شيخ الاسلام ابن تـيـمـية وتلميذه ابن القيم على تحرير الفكر الاسلامي والسيرة من كـل زيـف وهـو مـا فعله كثيرون منهم الامام ابن كثير وما جرى عـليـه الامـام محمد عبده والسيد رشيد رضا وكان الامام محمد بن عـبـد الـوهـاب فى قلب الجزيرة العر بية أصدق الدعاة إليه فهو أبو هذه المدرسة الحديثة وإمامها .

٤١ ـ الدين والضمير

مـن المـحـاولات الخطيرة فى مجال التغريب محاولة الفصل بين الدين والضمير والقول بأن العمل الاخلاقي يمكن أن يتخذ طريقة دون أن يـكـون الانـسـان عاملا بأوامر الدين ، وتلك دعوى تتردد

اليوم بين المسلمين ، يقول أحدهم إني والله افعل الخير وأحسن إلى الفقير وأفعل ، ولكن أمر الصلاة والصوم شيء آخر .

و يظن هؤلاء أنهم بهذا يستطيعون كسب محبة الناس أو رضاء الله .

والواقع أن الاسلام كل متكامل ونظام شامل كالعقد الجامع فيه العقيدة والشريعة والأخلاق مرتبطة لا تتفرق ولا بد أن يبدأ عمل الانسان كله من خلال إطار واضح صريح هو الاسلام بقوانينه وأنظمته وعباداته ومعاملا ته فلو أنفق الرجل ألوف الجنيهات فلا قيمة لها إذا لم تكن فى إطار الزكاة مرتبطة بالصلاة والصوم ، على النحو الذى شرعه الله وأن أي عمل أخلاقى لا يمكن أن تكون له قيمة أصلية إذا لم يكن مرتبطا بنظام الاسلام كله على النحو الذى رتبه المنهج القرآنى .

ان الغربيين حين أرادوا الخروج عن الدين رغب فلاسفتهم فى وضع منهج أخلاقي كبديل للدين نفسه فابتكروا هذه الصور والأوضاع وحاولوا بها خلق مجال روحي أو عقائدى يلتمس من الدين شئون المعاملة فيجعلها منهجا قوامه الأخلاق والاحسان والخير والبر المقطوع عن أصل الدين ، ولكن مثل هذه الفلسفة قد

فشلت فى البيئات التي إرادتها ذلك لانه لاسبيل إلى الفصل بين أجزاء الدين الذي جاءت به رسالات السماء والذى كان الاسلام خاتمها وأصفى معين لترابطها وتشكلها على النحو الذي يأخذ الانسان ككل ، عقيدته بالتوحيد وشريعته بالعبادة والمعاملة ، وتجيء الأخلاق فتصبغ كل جوانب الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة والقانون .

٤٢ - وصف الفكر الاسلامى بالفكر الدينى

يحاول المستشرقون فى مختلف كتاباتهم وصف الفكر الاسلامى بالفكر الدينى ، أى انه فكر غير علمى وذلك جريا على التقسيم الذى عرفه الفكر الغربى بالفصل بين الدين والسياسة وبين الاخلاق والاجتماع وبين العلاقة بين الله والانسان والعلاقة بين الانسان والمجتمع : وربما كان ذلك من الامور الطبيعية فى بيئة الفكر الغربى الذى تشكلت من خلال عناصر التراث اليونانى والتشريع الرومانى واللاهوت المسيحى ومن ثم جاء هذا الانفصال الواضح بين القيم والعناصر انفصالا اخذ طابعا صريحا فى حياة هذه المجتمعات وفكرها منذ وقت طويل ، غير أن هذا المنهج يعد قاصرا وغير صادق عندما يلتمس به فهم الفكر الاسلامى الذى نشأ منذ اللحظة الاولى متكاملا

جـامـعـا لا سـبـيـل الى الـفصل فيه بين القيم والعناصر ، بل أنه يقوم أسـاسـا على هـذا الـتـركـيـب الجـامـع الذى يجعل الاقتصاد والقانون والاجـتـمـاع والـتـر بية مفرغة من حقائقها واصولها اذا لم تتكامل مع عقيدة التوحيد كأساس والاخلاق كمنطلق ، وتقوم اساسا على رابطة الـوحـى بـالـعـقـل ، والـدنيا بالآخرة ، وعالـم الغيب بعالـم الشهادة ، والـروح بـالمـادة ويحـول ذلـك المفهوم دون القول بأن الفكر الاسلامى فـكـر ديـنـى لأن الفكر الدينى فى مفهوم الغرب هو الفكر القاصر على الـلاهـوت أى الـعـلاقـة بين الله والانسان ، أما الفكر الاسلامى فهو جماع بين عـلاقـتين قـوامـهـا الانسان مع الله ومع الجماعة . ومن هنا تخـطىء ايضا عبارات القول بأن العر بية لغة دينية أو أن الاسلام دين (بمـعـنى العبادة أو اللاهوت) ، ذلك أن هذا المفهوم الجامع المتكامل يحـول دون صـدق الـقـول بأن اللغة العر بية لغة دينية أو لغة قومية بل هـى لـغـة أمـة ولـغـة فكر ولغة عبادة ولغة حضارة كبرى ، وأن الفكر الاسـلامـى هـو فـكـر علمى منهجى لأنه قام على أساس مفهوم المعرفة ذات الجـنـاحين : جـنـاح الـعـقل وجناح القلب معا دون تضارب أو ثنائية بل تكامل ولمتزاج .

(أنور الجندى)

الفهرس

الموضوع	الصفحة